

## الفصل الثانى

### تربية الطفل فى الفلسفة الواقعية

#### *Realism Philosophy*

تعرف الفلسفة الواقعية بأنها تطبيق ما أشارت إليه وجهة النظر التى تحتوى على التربية وعلاقتها بالأحداث الجارية فى الحياة، حيث أن الإنسانين كأفراد وأشخاص وجهوا جهودهم نحو تحصيل الأدب والأخلاق، والمصلحون كاجتماعيين وسياسيين يعملون نحو تحقيق الأغراض الدينية والأخلاقية.

أما بالنسبة للمفهوم الأساسى للواقعية: لقد حدد بعض الباحثين المفهوم الأساسى للواقعية على النحو التالى:

أ - الواقعية وطبيعية الواقع:

- تعد الفلسفة الواقعية فلسفة بعيدة عن العالم المثالى وتتعلق بدراسة العالم الذى تعيش فيه.

- الفلسفة الواقعية تعتقد أن كل المعارف مشتقة من الخبرة.

- الواقعيون يعتقدون أن العالم الحقيقى هو عالم الطبيعة.

ب- قوانين الطبيعة الواقعية:

يعتقد الواقعيون أن العالم المادى من فعل قوانين الطبيعة.

ج - الواقعية والعلم:

تحاول الواقعية أن تكشف الحقيقة بمساعدة الطرق العلمية، وأن تكشف

الحقيقة يساعد على ضبط البيئة.

ويرى بعض المربين أن الفلسفة الواقعية سميت بهذا الاسم، لأن فيها اعترافاً

بواقع الأشياء والحوادث، وبأنها موجودة فى الخارج والواقع، ومستقلة فى وجودها

عن الشخص الذى يعرفها.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الفلسفة الواقعية تطلق على: الأفكار التي توجد في العالم المادي أو عالم الماديات، وفي تصورات الفرد وخبراته عن تلك الماديات، وتعد الأساس لفهم ما هو واقعي وحقيقي.

### أشكال الفلسفة الواقعية:

حدد بعض المربين أشكال الفلسفة الواقعية وذلك على النحو التالي:

- أ - الواقعية الكلاسيكية: ويمثل هذا الاتجاه فيفنز، رابليه، ميلتون.
  - ب- الواقعية الحسية: ويمثل هذا الاتجاه فرانسيس بيكون، جين لوك، جون ستيوارت مل، راتكة، كومنيوس.
- والبعض الآخر حدد أشكال الفلسفة الواقعية في:
- الواقعية التقاليدية (الواقعية الأرسطية): ويمثلها أرسطو (٣٨٤-٣٢٢) قبل الميلاد.
  - الواقعية الدينية: ويمثلها توماس أكويني *Thomas Aquines* (١٢٢٥-١٢٧٤).
  - الواقعية الحديثة: ويمثلها فرانسيس بيكون *Francis Bacon* (١٥٦١-١٦٢٦)، وجون لوك *Jhon Locke* (١٦٣٢-١٧٠٤).
  - الواقعية المعاصرة: ويمثلها الفريد نورث هوايتهيد *Alfred North Whitehead* (١٨٦١-١٩٤٧)، براتراند رسل *Bertrand Russell* (١٩٧٢-١٩٧٠).

ويرى البعض أن الواقعية تنقسم إلى النوعين التاليين:

- أ - الواقعية العقلية *Rational Realism*: وهي التي ترى أن العالم المادي حقيقي وله وجود خارج عقول الملاحظين له ويتزعم هذا الاتجاه أرسطو.
- ب- الواقعية العلمية *Scientific Realism*: وهي التي ترى أن الفلسفة يجب أن تقلد وتنتهج نهج الموضوعية العلمية، ولما كان العالم المحيط بناء حقيقي، فإنه من مهمة العلم وليس الفلسفة البحث في صفاته، ومن زعماء هذه الحركة بيكون، لوك، هيجز.

والبعض الآخر كانت له وجهة نظره في تصنيف الفلسفة الواقعية حيث وضع كل نوع منها، والمبادئ التي يقوم عليها، ويمكن تلخيصها وذلك على النحو التالي:

١- الفلسفة الواقعية الطبيعية:

وقد اعتنق هذه الفلسفة بعض التقليديين مثل سبنسر، توماس أكويني، هكسلي اعتقاداً منهم أنها تبني الأساس المتين للفلسفة التربوية التي يعتنقونها ووقوفاً في وجه الذين يخرجون بالمناهج الدراسية عن واقع الحياة. وتقوم هذه الفلسفة على الأفكار الآتية:

- ١- تعد الظواهر الطبيعية أهم مادة للدراسة، أما الدراسات الأدبية واللغوية وغيرها من المجرّدات فقيمتها ضئيلة إذا قيست بالعلوم الطبيعية.
- ٢- ينبغي الاهتمام بالمنهج من حيث اتصاله بالمجتمع الخارجى.
- ٣- يدعو علماء الاجتماع من مشايخ الفلسفة الواقعية الطبيعية إلى دراسة الإنسان على الطبيعة دراسة مباشرة وذلك عن طريق التجوال حول العالم والاتصال به فى كل مكان.
- ٤- ينبغي أن ندرس العلوم فى ضوء النظريات العلمية التى تشكل الأذهان فى الوقت الحاضر.
- ٥- يجب أن تلبى التربية حاجات المجتمع المهنية ولكن بلا تجريب وعلى أساس من محض الدراسة النظرية.
- ٦- الدراسة واختيار الأهداف يجب أن يحكمها الحاضر والبيئة التى يعيش فيها المتعلم.
- ٧- تتأكد التربية الخلقية والدينية على الأساس الطبيعى.

٨- تؤكد الفلسفة الواقعية الطبيعية القياس العلمى، لأن نظرية التطابق التى يقول بها الواقعيون، والتى تحدث عنها قبل ذلك تتطلب مستوى رفيعاً من دقة القياس وذلك يقتضى تكرار قياس كصفات السلوك .

ب- الفلسفات الإنسانية:

والتي وضعها « أرسطو » على أساس عقلى، ثم جاء بعده « توماس أكويني » فعدل من الأسس التى وضعها « أرسطو » ومن هنا فإن المحدثين من اتباع تلك الفلسفة انقسموا إلى قسمين وهما:

**أولاً: الفلسفة الإنسانية العقلية:**

وهى التى يرى مؤيدوها أن المحافظة على هذا الاتجاه يقوم على دراسة

« أرسطو » وحده، وأهم الأفكار التى تقوم عليها هذه الفلسفة هى:

١- أنها تهدف إلى تغذية العقل وتدريبه على الفهم دون تفاوت بين الناس ودون اعتبار للزمان والمكان.

٢- تعنى بالفروق الفردية بين الأشخاص، وإن كانت هذه العناية ثانوية بالنسبة للعناية بالناحية العقلية.

٣- تحتم قيام المنهج الدراسى على الأساسيات وهى الفنون الحرة والعلوم الإنسانية.

٤- لا ترى إطلاق الحرية للتلاميذ فى اختيار المواد الدراسية وإن كانت تهدف بدراسة الأساسيات إلى تحرير العقول من الأخطاء.

**ثانياً: الفلسفة الواقعية العلمية:**

وهى التى يرى مؤيدوها أنه يجب المحافظة على الفلسفة الإنسانية العقلية،

ويتضح ذلك من دراسة كل من « توماس أكويني » و « أرسطو »، أهم الأفكار التى تقوم عليها هذه الفلسفة هى:

١- أنها تقوم على التناحية بين الطبيعة والقوة الخارقة للطبيعة وهى الآلة وعلى التناحية بين العقل والجسم بشرط التفاعل بينهما، وعدم الاعتماد على بحوث السلوكيين من علماء النفس.

٢- أن الهدف التربوى الذى يتمثل فى الوصول إلى الحقيقة ثابت لا يتغير، ومن ثم فالمنهج الدراسى يجب أن يقوم على الأساسيات العلمية والثقافية المتصلة بالتقاليد، وأن يفرض على التلاميذ فلا ينظر إلى اهتماماتهم ورغباتهم إلا إذا اتصلت بهذا المنهج الذى ينبغى أن يدرس، أما إذا تعارضت اهتماماتهم ورغباتهم مع حقائق المنهج فليضرب برغباتهم عرض الحائط وليجبروا على دراسة المنهج.

٣- إن وظيفة المدرس هى أن ينقل إلى التلاميذ بإصرار وجبر ما يراه صحيحاً وتتعرف الأغلبية بأنه حقائق صائبة.

٤- إن الاهتمام بالفروق الفردية بين التلاميذ له مكانة ملحوظة فى التربية غير أن ذلك لا يسمو سمو الاهتمام بإيصال التلميذ إلى الحقيقة.

٥- إن دراسة الأخلاق والدين يجب أن تكون دراسة رسمية متصلة حتى تؤتى خبر الثمرات.

٦- ينبغى أن يوضع المنهج قبل ابتداء الدراسة والتعليم إذ لا داعى للتأخير، فمضمونه ثابت ومعروف، والهدف الذى يرمى إليه لا يتغير.

كما حدد البعض مظاهر وأشكال الواقعية على النحو التالى:

#### ١- الواقعية الإنسانية (اللفظية) :

من رواد هذه الفلسفة:

- فيفز *Juan Luis Vives* (١٥٤٠-١٤٦٢)

- رابليس *Francis Rabelais* (١٥٥٤-١٤٨٢)

(١٦٧٤-١٦٠٨)

- ميلتون *Jhon Milton*

### ١- أهداف الواقعية الإنسانية:

تهدف الواقعية الإنسانية إلى المعرفة الكاملة، وفهم المجتمع الإنساني والدوافع الإنسانية والطبيعية، والمواقف والعلاقة بين كل من العالم الإنساني والعالم الطبيعي مع فهمها، وإعداد الفرد للبيئة التي يجب أن يعيش فيها.

وقد أكد « فيفنز » *Vives* على أن التربية تعمل على تطوير الشخصية، والقيم والفضائل الدينية، وأهمية العمل، حيث إن كل شيء يجب أن يحاط بالدين والأخلاق والعمل.

أما « رابليه » *Rabelais* فله رؤيته الخاصة عن أهداف التربية فهو يرى أن هدف التربية هو تكوين الإنسان الكامل ومهاراته في الفن والصناعة ( بقصد تكوين الإنسان )، تطوير وتنمية كل جوانبه الجسمية والخلقية والعقلية.

أما « ميلتون » *Milton* فقد أعلن عن اعتقاده بأن التربية إعداد الحياة الواقعية، ويتضح ذلك عندما كتب، أَدْعُو إلى التربية الكاملة والكرامة التي تعد الإنسان الذي يلعب دوراً واضحاً وبمهارة وبسخاء وكرم في كل المرافق العامة والخاصة والحرب والسلام.

فكل الواقعيين الإنسانيين تصوروا أن التربية عبارة عن دراسة الكلمات والألفاظ لفهم الأشياء، أما قراءة الكتب وجدت خارجاً حول العالم الذي نعيش فيه.

### ٢- الواقعية الاجتماعية

هناك علاقة بين الواقعيين الاجتماعيين والواقعيين الإنسانيين في هجومهم على التعليم القديم الكلاسيكي، ومن رواد هذه الفلسفة « ميشيل دي مونتيني » *Michl De Montaigne* (١٥٣٣-١٥٩٢م).

- أهدافها:

هدف الواقعية الاجتماعية لم يكن إنتاج الرجل العالم أو المهنى، ولكن إعداد الشباب الأرستقراطى لحياة الرجل المهذب فى شؤون الحياة، لهذا قال « مونتيني » (أن التربية تعتبر فن الرجال وليس المتخصصين).

فهدف التربية عنده يعنى النفعية العملية مثل السفسطائى الإغريقى، فهو كرس جهده على التربية الفردية التى سوف تعد الشباب للكفاية الفردية والنجاح فى الحياة الاجتماعية فى يومه.

إذا الهدف التربوى عند الواقعيين الاجتماعيين هو: التكيف الاجتماعى وإعداد الفرد للحياة الفعالة والسارة مع الأفراد الآخرين.

٢- الواقعية العلمية:

والتي تعتبر أن الواقع موجود فى قوة وقوانين الطبيعة.

- ومن روادها:

- ريتشارد مولكاستر *Richard Mulcaster* (١٥٢١-١٦١١م)
- فرنسيس بيكون *Francis Bacon* (١٥٦١-١٦٢٦م)
- وولفانج راتك *Wolfgang Rattke* (١٥٧١-١٦٣٥م)
- جيون أموس كومنيوس *Jhon Amos Comenius* (١٥٩٢-١٩٧٠م)

- أهدافها:

الهدف النهائى للواقعية العلمية (الحسية) تنمية الطبيعة الفردية والطبيعة المجتمعية بالعمل طبقاً للتطور العلمى.

فالظروف والأحوال والقوانين الطبيعية تعد حقيقة واقعية فقط، وهى أهداف التربية، لهذا قال « مولكاستر » *Mulcaster* أن التربية ليست محاولة لضبط الميول الطبيعية والأنشطة للطفولة، ولهذا فهدف التربية والتدريب تكون مساعدة الطبيعة لكمالها.

ولقد اعتقد « بيكون » *Bacon* أن الهدف النهائى للتربية، هو جعل الإنسان يسيطر على الأشياء لتزداد القوة البشرية من خلال الانتفاع بالمعرفة العلمية.

فمعرفة البيئة الطبيعية ومظاهرها وعملياتها كان للانتفاع بالأسس الجديدة للحياة العملية والمفيدة.

فالغرض الرئيسي للتربية كان تعليم قوانينها وضبط الطبيعة لفائدة الإنسان.

أما « كومنيوس » *Comenius* فهدف التربية النهائي عنده، كان السعادة الداخلية مع الله، ولهذا فإن التربية سوف تهدف إلى تدريس كل الأشياء لكل الناس.

فالواقعيون العلميون يهدفون إلى كشف وتقديم المعرفة الجديدة بدلاً من مجرد التعليم من الكتب، فهم يبحثون هنا في واقع الطبيعة، ولهذا فهم لا يبحثون في المعلومات عن الطبيعة من أجل خاطر المعرفة كنهاية في حد ذاتها.

كما أنهم لم يحدوا هدفهم للبحث عن قوانين الطبيعة في العالم الخارجي حيث أنهم اعتقدوا أن عملية النمو الداخلي للعقل تكون جزءاً من قوانين الطبيعة. إن الهدف المباشر عند « راتك » و« كومنيوس » كان كشف قوانين الطبيعة التي تحكم عملية التعليم، فهما يهدفان إلى أن النظام التربوي سيكون طبقاً لأمر الطبيعة التي يتبعها عقل الطفل في التعلم.

أما الهدف المباشر عند « بيكون » كان تنمية الطريقة العلمية لكشف وتنظيم المعرفة العلمية.

وبعد أن تم عرض أشكال ومظاهر الفلسفة الواقعية، فإنه سيتم تناول رواد هذه الفلسفة.

### رواد الفلسفة الواقعية :

يتضح من العرض السابق لأشكال الفلسفة الواقعية أن هناك العديد من الرواد لهذه الفلسفة، ولكن سوف يقتصر في دراسة هذه الفلسفة على آراء كل من

« أرسطو » باعتباره المؤسس الأول للفلسفة الواقعية و « كومنيوس » باعتباره ممثلاً للواقعية الحسية، و « جون لوك » باعتباره ممثلاً للواقعية الحديثة، وقبل تناول آراء هؤلاء الرواد لابد من إلقاء الضوء عن حياة كل منهم بإيجاز، وذلك على النحو التالي:

١- أرسطو:

يشير بعض الكتاب إلى أن « أرسطو » ولد بمدينة « استاجيرا » عام ٣٨٤ ق.م، ولذلك لم يكن أثينا كسقراط وأفلاطون، ولكنه جاء إلى أثينا عندما بلغ الثانية عشرة من عمره، حيث أوفده أبوه إلى أثينا ليتم تعليمه الذي بدأه في مقدونيا، فدخل الأكاديمية ليتلقى العلم على يد « أفلاطون » وظل عضواً في الأكاديمية حتى وفاة أفلاطون في ٣٤٨ ق.م.

وبذلك يكون قضى مع أستاذه « أفلاطون » حوالي عشرين عاماً، غادر أثينا بعد وفاة « أفلاطون »، ثم عاد إليها في عام ٣٤٣ ق.م ليكون معلماً للإسكندر الأكبر لمدة ثلاث سنوات، وبعد ارتقاء الإسكندر الأكبر العرش استقر « أرسطو » في أثينا وأنشأ مدرسة جديدة هي مدرسة اللوقييم تحت رعاية الإسكندر.

بعد أرسطو أول من أسس الفلسفة الواقعية، وقد أطلق عليه المؤرخون أبو الواقعية، ورغم أنه تلميذ « أفلاطون »، إلا أنه عكس أستاذه، وجد الحقيقة في عالم الأشياء الفيزيائية، أي عالم الواقع، حيث قال: أن كل ما هو موجود في العالم الفيزيقي (هواء، رجال، حيوان، ماء، نبات) مكون من مادة، وأن هذه المادة تأخذ أشكالاً مختلفة، وقال إن المادة هي أساس كل شيء يمكن مشاهدتها بانتخاذها لشكل معين، والمادة تزداد في التعقيد كلما ازداد تعقد الشكل الذي يتخذه من عشب إلى إنسان إلى أن تصل إلى أكثرها تعقيداً، وهو الشكل الخالص وهو أول سبب، بل هو المحرك الأول.

اهتم «أرسطو» بكل الميادين المعرفية، الفلسفة، التربية، الطب، علم الحيوان، علم الفلك، تناول في أبحاثه ودراسته الشبخوخة والموت، والذاكرة، والبقطة، والنوم، والتنبيؤ بالأحلام، والإحساس، والمحسوس.

ويذكر المليون أنه جعل من الإحساس مصدراً للمعرفة على غرار أستاذه «أفلاطون»، ولكن عارضه على الصعيد الفلسفي، ولم يقل بواقع مفارق للمثل، ولا بعالم معقول يهيمن على الواقع العياني المحسوس أو بحكمه، لا يوجد عند «أرسطو» إلا هذا الواقع المحسوس.

ولهذا يرى البعض أنه كان لفلسفة «أرسطو» أعمق الأثر إلى جانب فلسفة «أفلاطون» في الفكر القديم، وفي القرون الوسطى وبقية أراؤه العلمية راجحة إلى حين بزوغ العلم الحديث، وكان «أرسطو» ذا نزعة علمية وتنظيم فكري للأمور المحسوسة.

ولهذا فهو يطلق عليه زعيم الواقعية العقلية، كما أسس مدرسة نشر عن طريقها أراؤه وفلسفته ولقب بالمعلم الأول.

أما أهم مؤلفاته، يُعد «أرسطو» أول من وضع مؤلف في المنطق الصوري عرف تحت اسم «الأورجانون» ومن مؤلفاته كتاب «الخطابة»، كتاب «الشعر»، كتاب «السياسة»، كتاب «الميكانيك»، كتاب في «السماء»، كتاب «المتافيزيقا».

## ٢- كومنيوس؛

اسمه بالكامل «جون أموس كومنيوس»، أما اسمه الثلاثي اللاتيني فهو «ليان أموس كومنسكي»، عالم تربية تشيكي، ولد في نغتيش قرب أوهوسكي بروت في مورافيا الجنوبية عام ١٥٩٢م وتوفي في أمستردام عام ١٦٧٠م.

يعتبر «كومنيوس» واحداً من أعظم ممثلي الواقعية الحسية. فقد امتاز بفكر خصب، وخيال واسع، وكافح في سبيل الحرية الدينية والسياسية في بلاده.

وقد قام بوضع مبادئ المذهب الواقعي الحسي، والتي تقوم على ما يلي:

- اكتشاف الحقيقة فى قوى وقوانين الطبيعة لزيادة قدرات الإنسان عن طريق إثراء معرفته العلمية وبناء نظام اجتماعى جديد من خلال تدريس الحقائق جميعها.
  - الاهتمام بالتربية العلمية العملية عن طريق التدريب العلمى العملى، والتعليم الحر والدينى والخلقى والعقلى وتعلم الأساليب الديمقراطية.
  - الاهتمام بدراسة الظواهر الطبيعية عن طريق منهج البنائى (الشامل لكل المعرفة) واللغة كأداة للتعرف على العلوم والفنون الصناعية ونشاطات الألعاب والأبحاث العلمية.
  - التركيز على الاهتمام بالمدارس كوسائل للتربية كالمدرسة الابتدائية، المدرسة الثانوية، الجامعات، مراكز الأبحاث.
  - السلم التعليمى منظم بإحكام، فهناك مدرسة هى رتبة الأم والمدرسة الأولية والمدرسة اللاتينية، ثم الجامعة، ثم معهد الدراسات العليا.
  - الاهتمام بتعرف قوانين الطبيعة التى تقوم عليها المعرفة والاهتمام بتدريب الحواس، والملاحظة واستخدام العمل كوسيلة للتعليم، واستخدام التعليم الغربى وإثارة الاهتمام وضبط النظام بين التلاميذ.
- ومن الملاحظ أن « كومنيوس » عاش حياة شهد فيها ألواناً من القسوة والاضطهاد، إلا أنه لم يدع المرارة تسرى إلى قلبه، بل رأى نفسه مواطناً عالياً، كما يعرف أنه أكثر المتأثرين بآراء « بيكون » بل أكثرهم تطبيقاً لها.
- عرض أفكاره الفلسفية والتربوية فى كتابه الذى ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان « فن التعليم الكبير »، ويدعو فى كتابه هذا إلى تعميم التعليم المجانى الإلزامى لكل الأطفال، بدءاً بأصغرهم سناً على اختلاف أوضاعهم الاجتماعية، كما يشدد على أهمية اللعب والطبيعية ودراسة البيئة بالنسبة للصغار، كما اقترح « كومنيوس » طريقة حدسية فى كتابه « الباب المفتوح على الألسنة »، وقد ترجم إلى

الفرنسية تحت عنوان «الباب الذهبي»، كما يطالب «كومنيوس» أن يستعمل الأطفال الأشياء، وأن يزوروا المشاغل وأن يحتكوا بالطبيعة. وألا يتعلموا شيئاً لا يفيدهم.

كما دعا إلى ربط التربية بالحياة اليومية، وشدد على الاتصال المباشر مع الأشياء في البيئة.

وقد ألف كثيراً من الكتب المدرسية، من أهمها الكتاب المسمى «الباب الموصل للمعرفة»، ويمكن اعتبار هذا الكتاب دائرة معارف صغيرة، وكتاب «عالم الصور»، وهو خاص بتعليم الأطفال.

وقد كتب «كومنيوس» في هذه الأثناء، العديد من المقالات الخاصة بقواعد السلوك، فقد اهتم في مقالاته بسلوك الطفل على المائدة، وكذلك عن سلوكه في اللعب، وعن الاستيقاظ صباحاً وقبل الذهاب إلى السرير في المساء.

ومن هنا يتضح أن «كومنيوس» من فلاسفة الواقعية الذين لهم اهتمام واضح بتربية الطفولة.

فقد أظهر «كومنيوس» أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل، وكان لأرائه التربوية أكبر الأثر في البدء بافتتاح مدارس الأطفال في عصره بعد أن وضع أهمية الطفولة والعناية بها، ومن أهم آرائه في هذا الشأن:

- ضرورة أن يتم توجيه الطفل منذ الصغر نحو الأشياء التي تحيط به ليكتشف من ذلك الخبرة والمعرفة عن طريق إدراكاته الحسية.
- تأكيد أهمية اللعب والنشاط والحركة لنمو عقل الطفل وجسمه.
- تأكيد وحدة المعرفة وتكاملها، فيما أشار إليه من ضرورة اكتساب الطفل في سنوات حياته الأولى بعض المعاني الأولية المشتركة بين جميع العلوم التي سوف يدرسها بعد ذلك في المدرسة.

- أهمية تعليم الطفل المفاهيم الأساسية، الظواهر الطبيعية (الماء، الهواء، الضوء، الشمس، القمر).
  - فى مجال الرياضيات أشار إلى تعليمه مفهوم الزمن مع تطور نموه ليذكر معنى (الساعة، اليوم، الأسبوع، السنة، الصيف، الشتاء، الربيع).
  - إن الحصول على المعرفة تبدأ بالإدراك الحسى للأشياء المتعلقة بالعالم الطبيعى، وأن كل ما يعرفه ويتعلمه الطفل يجب أن يشير إلى طبيعته الحقيقية الأصلية.
- أى أنه فضل استخدام الأشياء على طبيعتها أو صورها أو مجسماتها بدلاً من الكلمات والرموز.

### ٣- لوك :

ولد « جون لوك » فى ٢٩ من أغسطس عام ١٦٣٢م فى كوتتبه سمرسيت (جنوب غرب إنجلترا) وكان والده محامياً، وكان من أنصار البرلمان، أما والدته فكانت ابنة دباغ محلى هو « آدموند كين » وتكبر زوجها بعشر سنوات، وقد ولدته فى سن الخامسة والثلاثين وهو يكبر أولادها الثلاثة، وكان أبوه قاسياً متشدداً فى تربيته، شب فى بيت محب للكتب، ولم يرسل إلى المدرسة إلا فى سن الخامسة عشرة. وهكذا يتضح أن « لوك » تلقى تعليمه فى البيت تحت إشراف والده، حتى أرسله إلى المدرسة فى سن الخامسة عشرة، ثم التحق بكنيسة « المسيح » فى أكسفورد حيث أجرى تحارب فى الكيمياء، وقرأ للفيلسوف « ديكارت »، درس الطب ولكنه لم يعمل طبيباً، عمل مع بعض السياسيين، نوى النفوذ، واضطر إلى الالتجاء إلى هولندا وبقى بها ست سنوات.

ويرى بعض المربين أن « لوك » هو المؤسس الحقيقى للتيار الفلسفى التجريبي والحسى الذى ازدهر فى القرن التاسع عشر فى أوروبا مع « هيوم »، « أ. ب

كوند بلانك»، ويدين لوك في كتابه حول التربية. النظام التقليدي الذي يركز على دراسة الكلمات دون المواضيع والذي لا يؤدي إلى كثرة الكلام وإلى إفقار الفكر. ويطالب بمعاملة الطفل كشخص عاقل وتشكيل آثاره التربوية دفاعاً عن التعليم الذي يركز على الملاحظة والاكتشاف الشخصي، وعن التربية البدنية الحقيقية.

وقد تطورت الواقعية على يد «جون لوك» الذي كان يعتقد أن الإنسان يولد بدون أفكار سابقة، وأن عقله صفحة بيضاء، نخط عليه التجربة كل ما تصل إليه من معرفة، لأن كل المعارف موجودة في العالم الفيزيقي (الطبيعي) ويصل إليها الإنسان عن طريق اتباع الأسلوب العلمي والمشاهدات المنطقية.

درس «لوك» اللغات القديمة أي اللاتينية واليونانية، وأقبل على دراسة العبرانية، وكان يفضل التربية الفردية المنزلية، والسبب في ذلك عدم رضاه عن بعض جوانب الحياة المدرسية، مثل نظام الدروس الشديد، العقوبات الجسدية الصارمة من جهة، والحرية المفرطة المتروكة للتلاميذ خارج ساعات الدراسة الصارمة من جهة أخرى، درس العلوم الإنسانية، علوم البلاغة والنطق، والأخلاق وعلم الهندسة، نال شهادة البكالوريوس عام ١٦٥٦م ثم تابع دراسته حتى شهادة الماجستير التي نالها بعد سنتين من ذلك، أي في عام ١٦٥٨م، درس الرياضيات، الفلك، التاريخ، اللغة العبرانية، العربية، الفلسفة الطبيعية، علم النبات، الكيمياء، الطب، واشتغل في وظيفة طبيب ومؤدباً لبعض الأسر، وتوفي في أكتوبر ١٧٠٤م.

ومن أهم كتبه ومؤلفاته ما يلي:

- مقالة في العقل البشري.
- مقالتان في الحكومة المدنية.
- مسلك التفكير أو الفهم.
- ثلاث رسائل وجزء من رسالة في التسامح.

- بعض أفكار فى التربية
- وله بعض الرسائل التربوية الأخرى التى من بينها (بعض أفكاره فى قراءة ودراسة الرجل المذهب)، و(إرشادات وتوجيهات فى تربية وقيادة الشباب المذهب)، (مدارس العمال).
- يتضح من ذلك أن «جون لوك» تعرض لكثير من العوامل والظروف التى أثرت على فكره وآراءه سواء كانت هذه الظروف سياسية أم اجتماعية أم دينية، لذا سيتم إلقاء الضوء على هذه العوامل.
- أهم العوامل المؤثرة على فكر «لوك»:
- يشير بعض المربين إلى أن هناك مجموعة من العوامل التى أثرت على فكر «جون لوك»، ويمكن إنجازها على النحو التالى:
- 1- انتمائه للعقيدة البيوريتانية أو مذهب التطهير الذى ظهر وقويت شوكته فى القرن السابع عشر، وهو مذهب دينى سياسى اجتماعى، ومن مبادئه الدعوة إلى العدالة والمساواة.
  - 2- صحبته الطويلة للورد أشلى، وكان هذا اللورد عالماً أخلاقياً.
  - 3- معاشته للخلافات الدينية والاضطرابات السياسية التى قضى فى ظلها جل حياته، وما كان يصحب تلك الخلافات والاضطرابات من قسوة وتشريد وحروب.
  - 4- تأثره بأقطاب النهضة العلمية التى كانت سائدة فى عصره، ومن بينهم «جاليليو وبييل»، «نيوتن»، كما تأثر بالمنهج العلمى الذى دعا إليه «بيكون».
  - 5- أفكار الفلاسفة والعلماء والمربين من مختلف العصور والقرون وكانت قراءة «لوك» وسعة اطلاعه مكنته من الاتصال بمعظم ما كتبه الفلاسفة والمفكرين، ومن الفلاسفة الذين تأثر بفكرهم وآرائهم «أرسطو»، «أبيقور»، «ديكارت».

- ٦- الوسط الأرستقراطي الذي عاش فيه، والتقاليد التطبيقية المحاطة التي كان يخضع لها المجتمع الإنجليزي في عصره.
- ٧- خبرته الشخصية كتلميذ في المدارس الإنجليزية بمراحلها المختلفة. ثم كمدرس في الجامعة، وكمدرس خاص لأبناء الطبقة الأرستقراطية.
- وبعد عرض أهم آراء بعض رواد الفلسفة الواقعية، فإنه سيتم عرض الأسس التي تقوم عليها هذه الفلسفة، وأهم ملامحها التربوية.
- الأسس التي تقوم عليها الفلسفة الواقعية :**

يرى «جون وايلد» *Jhon Wild* أن الفلسفة الواقعية تقوم على الأسس التالية:

- هناك عالم واقعي موجود ليس للإنسان دور في بنائه أو صنعه.
- هذا الوجود الواقعي الحقيقي من الممكن معرفته بواسطة العقل الإنساني.
- مثل هذه المعرفة هي المرشد للسلوك الإنساني سواء منه الفردي أو الاجتماعي.
- ويرى البعض أن هناك مجموعة من الأسس التي تقوم عليها هذه الفلسفة، ويمكن تلخيصها في:
- أن عالم الحس حقيقي وهو كما نحسه ونزاه.
- أن العالم جزء من الطبيعة، ويمكن التعرف على أسراره عن طريق الأحاسيس والخبرات.
- جميع الأشياء المادية التي تحدث في هذا العالم تعتمد على القوانين الطبيعية.
- القوانين الطبيعية تسيطر على حركة الكون.
- يمكن للإنسان معرفة الحقيقة عن طريق الأسلوب العلمي والوسائل التجريبية، علماً بأن الإنسان لا يستطيع أن يعرف كل شيء.
- لا يمكن فصل العقل عن الجسم، كما أنه لا يوجد أي سيطرة لأحدهما على الآخر، ولكن هناك علاقة منسجمة بين الإثنين.
- يحق للفرد أن يحدد اعتقاده بنفسه.

ومن هنا يتضح أن الأساس الذي تقوم عليه الفلسفة الواقعية يتمثل في: الاعتقاد في حقيقة المادة، فالكون بالنسبة للفيلسوف الواقعي ليس خدعة بل هو شئ جوهري يوجد حقاً، وهذا يعني أن العالم هو مصدر كل الحقائق، بمعنى أن جميع الحقائق تأتي من هذا العالم المعاش، أي عالم التجربة والخبرات اليومية.

### الملامح التربوية للفلسفة الواقعية:

من الواضح أن التربية الواقعية انجذبت إلى الاهتمام بدراسة مظاهر الحياة الطبيعية، والتركيز على البيئة الحاضرة بدلاً من التركيز على تراث الماضي، وأصبحت وظيفة التربية موجهة نحو الاهتمام بإعداد الطفل للحياة العملية ومسئوليات الحياة الاجتماعية، ولهذا اتسمت الفلسفة الواقعية بالعديد من الملامح التربوية التي تميزها عن غيرها، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

- أن هدف التربية هو إدراك الحقيقة والوصول إلى قدسية الآله الأسمى الذي لا يتغير وذلك عن طريق المعرفة.
- أن التربية العقلية هي غاية في حد ذاتها، وهي أيضاً وسيلة لإدراك الأشياء، وتعليل وجودها، ومن هنا المنطلق يمكن للمدرسين البدء بتدريس مادتهم بالواقع المحسوس ثم الانتقال إلى جوهر المادة المجردة.
- تؤمن هذه الفلسفة بالتناقضية بين الطبيعة وبين القوة الخارقة للطبيعة أي الآله فهي تؤمن بالقوى الروحية والخلقية، كما تؤمن بدور رجال الدين في التربية.
- تعطي الفلسفة الواقعية المدرسية أهمية كبيرة للمعرفة ومقرراتها الدراسية أكثر من إعطائها أهمية للمتعلمين وميولهم ورغباتهم على اعتبار أنها أشياء متغيرة، ولكن الحقائق التي يحتويها المناهج هي أشياء ثابتة غير متغيرة.

- يجب دراسة العلوم الطبيعية والطريقة العلمية لأنها ضرورية من أجل مساعدة الإنسان على فهم بيئته وواقعه الطبيعي، ويجب أن يخصص لدراستها وقت كاف في المدرسة على حساب الاهتمام بالنواحي التطبيقية.
  - لا ينبغي أن يقتصر التعلم على الكتب وحدها، وإنما يجب أن ينظر إلى الطبيعة على أنها كتاب مفتوح منه، نتعلم أسرارها من أجل الاستفادة العلمية ومعرفة قوانينها والسيطرة عليها.
  - يجب أن تسعى التربية إلى اكتشاف القوانين الطبيعية للإنسان التي هي جزء من قوانين الطبيعة والتي تتحكم في تعليمه حتى يمكن تربيته على أساس سليم.
  - يجب أن تتمشى التربية مع مراحل النمو السيكولوجي الطبيعي للطفل، وأن تتمشى مع مداركه وقدراته، ويجب أن ينظم السلم التعليمي للمدارس على هذا الأساس.
  - يجب أن تستغل التربية الحواس باعتبارها مصادر ضرورية للمعرفة، وأن تعمل على تنميتها من خلال التعليم عن طريق اللعب والعمل والنشاط والتمرينات وغيرها.
- يتضح من ذلك أن الفلسفة الواقعية تؤكد على المعرفة، وأنها أهم من المتعلم واحتياجاته، كما أنها تعد الوسيلة لإدراك الحقيقة باعتبارها الهدف النهائي من التربية، كما تؤمن هذه الفلسفة بالثنائية ولكنها ليست كثنائية أفلاطون، فهي تؤمن بالطبيعة والقوة الخارقة لها.
- وتولى رجال الدين أهمية كبيرة في التربية، وأن العلوم الطبيعية أهم من العلوم النظرية، الاعتماد في العملية التعليمية على العالم المحسوس، عدم الاقتصار على الكتب الدراسية والاعتماد على الطبيعة، أن تراعى التربية مراحل النمو الطبيعي للطفل، كما أنها تؤكد على الأنشطة واللعب في تربية الحواس.

### مفهوم التربية فى ضوء الفلسفة الواقعية :

دخلت الواقعية إلى مجال التربية كاحتجاج ضد الكتب والمناهج الصعبة وعديمة الفهم، واعتبرت التربية لها علاقة بحقائق الحياة الفعلية فى كل مظاهرها، وأنها تحاول إعطاء المهارات والمعارف للأفراد التى تجعلهم بالضرورة أن يعيشوا سعادة فى المجتمع، وقد انعكس ذلك على مفهوم التربية، وذلك على النحو التالى: يرى «أرسطو» أن التربية تعنى: أنها خدمة ضرورية لبناء مجتمع متماسك يسوده الأمن والاستقرار ولبناء الروح المعنوية، ولإعداد المواطنين الصالحين.

ويتضح من ذلك أن المفهوم الذى ذكره «أرسطو» جاء نتيجة لنظرتة إلى التربية على أنها فرع من السياسة، حيث يرى أن التربية خدمة مجتمعية وظيفتها نشر الأمن وإشاعة الاستقرار بين أفراد المجتمع من أجل إعداد مواطنين صالحين. أما «كومنيوس» فيرى أن التربية هى: الإعداد الكامل ما أمكن للحياة الآن، وفى المستقبل ليس عن طريق اللغات، ولكن عن طريق كل الحقائق حول الكون التى فتحت لها اللغات الأبواب.

أما «جون لوك» فقد عرف التربية: أنها عملية تدريب وتهذيب للقوى الجسمية والاستعدادات والقدرات العقلية والدوافع الفطرية المتصلة بالنزعات الأخلاقية.

يتضح من ذلك أن مفهوم التربية عند «جون لوك» يشمل تربية كل جوانب الإنسان، ولكن يعطى أهمية كبرى للناحية الأخلاقية، وأنه سخر بقية جوانب الإنسان لخدمة الأخلاق.

وعرف «مونتيني» التربية بأنها فن تكوين الإنسان بالمعنى الكامل وليس تكوين الإخصائين فى بعض المعارف أو العلوم، وأن الآداب والدراسات ليست غاية الثقافة ولكنها واسطة وأداة لها، فالتربية من وجهة نظره ليست إعداد

متخصصين في مجال العلوم ولكنها تشمل كل جوانب الإنسان المختلفة، وبذلك فهو يتفق مع الفلاسفة الطبيعيين، كما أن التربية من وجهة نظره أيضاً عملية إعداد للحياة العملية ومواجهة مشاكلها، كما أنها وسيلة لتكوين ضمير الفرد الخلقى وتنمية ملكاته العقلية المختلفة وخاصة الفهم والحكم.

أما « فيفز » يرى أن عملية التربية تعنى عملية التعلم، ولهذا يجب أن تتمشى هذه العملية مع الخصائص العقلية للمتعلم، كما ينبغي أن تتوفر فيها الشروط اللازمة لإحداث التغييرات السلوكية المرجوة منها في سلوك التلميذ، لذلك فقد وضع بعض الشروط والمبادئ التي يجب مراعاتها في عملية التربية وعملية التعلم، والتي منها: الإيمان بضرورة مراعاة ميول الطفل وحاجاته الضرورية، ضرورة ترتيب الأفكار المراد تعلمها والربط بين بعضها بعضاً من ناحية، وبينها وبين أسبابها وعللها من ناحية أخرى، وجوب ربط عملية التربية والتعليم بشئون الحياة اليومية، وبخبرات الطفل في الحياة وبيادراكاته الحسية، وبضرورة جعل البيئة التي يتم فيها التعليم سارة ومشجعة على التعلم.

#### أهداف التربية في ضوء الفلسفة الواقعية :

لقد حدد الواقعيون أهداف التربية وذلك على النحو التالي: يرى «أرسطو»

أن الغرض من التربية هو:

- إعداد العقل لكسب العلم، كما تعد الأرض للنبات والزرع.
  - النمو النفسي والجسمي السليم للفرد.
  - إيجاد حياة معيشية معقولة، وأن النظام التربوي يجعل الفرد قادراً على الارتباط بالآخرين لتوجيه كل سلوكياته بصواب.
  - تحقيق خير الفرد بتأدية الواجبات والمهام الصغرى في هذه الحياة.
- يتضح مما سبق أن «أرسطو» يرى أن هناك هدف أعظم للتربية وهو السعادة، ويرى لتحقيق هذا الهدف الأعلى لابد أن تعمل التربية في نظره على

مساعدة الفرد على أن ينمي صحته ويحافظ عليها، وأن ينمي ملكاته العقلية، وأن يحصل على الشهرة والشرف وأن ينجح في تكوين حياة عائلية طيبة، وأن يستخدم أوقات فراغه استخداماً حكيماً.

ويرى « مالكاستر » أن هدف التربية هو مساعدة الطبيعة بمنتهى الإتقان، لذلك قال، على التعليم ألا يحاول كبح جماح الميل الطبيعية والأنشطة الطبيعية للطفولة. أما « ستانلي هول » فيرى أن هدف التربية هو تنمية طبيعة الطفل وأنشطته وإمكانياته وميوله، ويرى أن التربية ينبغي أن تكون متعددة الجوانب، وأن تؤدي إلى شخصية جيدة التوازن.

ويرى « ميلتون » أن التعليم ينبغي أن يعد الفرد للحياة الفعلية، لذلك يقول أنني أدعو إلى التعليم الكامل والسخي الذي يلائم الرجل ليقوم بأداء أعماله باتقان ومهارة سواء أكان خاصاً أم عاماً.

أما « جون لوك » فيرى أن هناك أهدافاً عامة للتربية حددها في: الفضيلة، الحكمة، السيرة الحسنة في السلوك، والمعاملة. التعليم المعرفي.

وإذا كان « جون لوك » حدد أهدافاً عامة للتربية فإنه يرى أن هناك هدفاً نهائياً (أو هدفاً أعلى) للتربية وهو تشكيل الخلق بالمعنى العام للكلمة، ومعنى هذا تهذيب الإنسان ككل من النواحي الجسمية والخلقية والعقلية، وقد اعتقد « لوك » أن تربية الجسم ضرورية للتربية الخلقية والعقلية، ومن ثم كان مثله الأعلى أن العقل السليم في الجسم السليم، كما أن التفوق الجسمي والأخلاقى والعقلى كلها نتيجة للتدريبات الشاقة للجسم والعقل وضبط النفس، ووظيفة التربية هي أن تتيح هذه التدريبات.

إن « جون لوك » يرى أنه من أهداف التربية وأهمها التربية الطبيعية المتكاملة وهي تربية الجسم والعقل والخلق على أساس أن العقل السليم في الجسم السليم، ومن هنا يمكن القول أنه يتفق إلى حد كبير بما تنادي به التربية الإسلامية. ويرى « لوك » أنه يجب تربية الطفل على الخشونة، فلا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا الشيء القليل البسيط، ومن وجهة نظره أن هذه عادات مهمة للطفل تكسبه التوسط والاعتدال في حياته وتكبح جماح نفسه وتكسبه النظام والانتظام في سلوكه.

ومن هنا فإن هدف التربية عنده يرمى إلى قوة الجسم والفضيلة. ويرى أن التربية الأولى تهدف إلى تكوين العادات الصالحة، ويتدرب الأطفال على تقبل أوامر الأب والمعلم، على أن يتحكم الخوف في تحديد سلوكهم في طفولتهم، ويتحول محور السلوك إلى الحب والصدقة عندما يكر الطفل. ويرى « فيفزه » أن الهدف الأساسي للتربية هو تنمية روح الخير والفضيلة والدين، وحول هذا الهدف الأساسي ينبغي أن تدور الأهداف الأخرى التي يجب أن تشمل في نظره جميع مظاهر شخصية التلميذ.

ويرى « فيفزه » في موضع آخر أن هدف التربية هو تنمية الشخصية والقدرة، ولهذا فهو يرى أن يكون التعليم تابعاً للدين والأخلاقيات، وينبغي ألا تكون الدراسات الأدبية أساس التعليم.

أما « كومنبوس » فيرى أن التربية تهدف إلى المساعدة في الوصول بالإنسان إلى السعادة الأبدية في الدار الآخرة.

وبناء على ذلك يمكن القول أن هدف التربية طبقاً للواقعية هو: إعطاء الفرد المعرفة الكاملة، فهم المجتمع الإنساني والطبيعة الإنسانية، الدوافع والمواقف.

ولهذا فإنه على التربية أن توضح للأفراد كيفية علاقتهم بعالم الإنسان وعالم الطبيعة، والهدف من ذلك جعل التلميذ قادراً على التوافق مع نفسه في البيئة التي يجب أن يعيش فيها.

ويرى « مونتيني » أن هدف التربية ليس حشو الذهن بالحقائق لكنه تكوين العقل المنظم المتقن وتهذيب ملكات النفس بخاصة ملكات الحكم عن طريق الملاحظة المباشرة لما يحيط بالطفل من عوامل طبيعية وإنسانية، وكذلك عن طريق التعرف على الناس والقيام بالرحلات، ولهذا فإن مونتيني دعا الأطفال إلى محاولة الوصول إلى الحقيقة بأنفسهم لا أن يأخذوها كأشياء مسلم بها مهما كان مصدرها، حيث إن الهدف الأعلى من التربية عنده هو الإعداد للحياة العملية السعيدة الناجحة الفاضلة، ولتحقيق هذا الهدف الأعلى هناك أهداف أخرى أقل عموماً منه يجب أن تتحقق في نظره ومن بينها تحقيق صحة جسمية للفرد، وتنمية ضميره الخلقى ونزعتة إلى الفضيلة، وتنمية قدراته العقلية.

ومن هنا يمكن القول أن ما يراه « مونتيني » يتفق إلى حد كبير مع ما تنادي به التربية في العصر الحديث من الاهتمام بتربية الطفل من جميع جوانبه المختلفة الجوانب الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية.

ويعتقد « بيكون » أن الهدف النهائي من التعليم هو إعطاء الإنسان القدرة على السيطرة على الأشياء، وزيادة القدرة الإنسانية عن طريق استخدام المعرفة العلمية، ومعرفة البيئة الطبيعية ومظاهرها وعملياتها.

أما « أرازمس » فيرى أن هدف التربية يتمثل في تربية الناشئين على التقوى على أساس من الفهم وذلك في إطار من الحرية، كما تنمى الفرد لكي يستطيع أن يقوم بمهام الحياة التي سيحياها في المجتمع حياة سعيدة إلى أقصى درجة ممكنة.

كما تستهدف التربية عنده تربية الطفل تريب أخلاقية من نعومة أطافره حتى يشب على خلق حميد يستمر معه طولال حياته.

فالتربية عنده ذات أهداف دينية، أخلاقية، عقلية، اجتماعية، وأيضاً جسمية. وفى هذا الصدد يقول « رابلبس » Rabclais أن هدف التربية هو تكوين الإنسان الكامل الماهر فى الفن والصناعة، وفتنمة الرجل ككل بدنياً وعقلياً.

وأكد ذلك ما يراه البعض من أن هدف التربية طبقاً للفلسفة الواقعية هو إعداد الفرد لتقبل حظه المكتوب فى هذه الدنيا وما التربية إلا مساعدة الإنسان ليتكيف مع بيئته لا ليشكلها أو يؤثر فيها، وحتى يتم التكيف الفعال بين الإنسان وبيئته فإن عليه أن يفهم العالم الذى يعيش فيه، وهذه المعرفة من الممكن اكتشافها وتلقينها للصغار بطريقة منظمة فى المدارس.

وفى ضوء ذلك يمكن استخلاص أهداف التربية طبقاً للفلسفة الواقعية، كما حددها بعض المربين كالتالى:

- التركيز على المادة والواقع والتجربة العملية.
- جعل أهداف التربية أهدافاً مادية، بمعنى تعليم الإنسان حرفة أو مهنة يكسب منها عيشه.
- المساهمة فى تنمية الاقتصاد القومى، وزيادة الدخل عن طريق ربط التربية والتعليم بخطط التنمية.
- التركيز على العلوم والطريقة العلمية فى التفكير والتعليم.
- فهم العالم الواقعى للإنسان والطبيعة، ومساعدة الفرد على التلاؤم مع واقع البيئة التى يعيش فيها.
- تزويد التلميذ بالمعرفة التى يحتاجها للحياة فى العالم الطبيعى، ومثل هذه المعرفة ستوفر له المهارات الضرورية لتحقيق حياة آمنة وسعيدة.

- تمكين الطفل من أن يصير شخصاً متوافقاً توافقاً حسناً، وأن يكون منسجماً عقلياً وجسدياً مع البيئة المادية والثقافية.
- إعطاء التلميذ معلومات كاملة وفهماً للمجتمع الإنسانى، والطبيعة الإنسانية والدوافع والمؤسسات.
- تكوين الإنسان الكامل الماهر فى القيم والصناعة، وتطوير الإنسان الكامل جسمانياً وأخلاقياً وفكرياً.
- إعداد الإنسان من أجل الحياة الواقعية فى عالم واقعى.

#### مؤسسات تربية الطفل فى الفلسفة الواقعية :

الباحث فى التربية يلاحظ أن الفلسفة الواقعية أدركت أهمية الأسرة كمؤسسة تربية هامة للطفل، فقد اعتبر « أرسطو » المنزل مركزاً تربوياً هاماً، كما آمن بأهمية دور الأسرة التربوى كجزء حقيقى من الكل الاجتماعى وهو الدولة. وهذا عكس « أفلاطون » الذى ألغى نظام الأسرة لمصلحة الدولة بالاشتراكية فى النساء، وتربية الأولاد فى المعسكر العام، بينما نظر « أرسطو » إلى الدولة على أن وظيفتها توجيه المجتمع بصورة يتحقق معها أعظم خير للبشرية.

ولهذا فإن « أرسطو » يرى أن المنزل والدولة يلعب كل منهما دوراً أو جزءاً فى تربية الطفل من الميلاد حتى سن السابعة، حيث أن المنزل يدرّب الأطفال على العناية الجسمية السليمة، والعادات الأخلاقية، أما من بعد سن السابعة فإنه يقوم بتدريب الأطفال على ضبط الانفعالات.

ولهذا فإن « أرسطو » يرى أن تربية الطفل مسئولية الأهل ويشكل أخص مسئولية الوالد، فالوالد هو علة وجود الولد، وهو مسئول عن إعالته وتربيته، وهذه الأخيرة تبدأ قبل الولادة بكثير تتخذ إجراءات لكى تأت الصفات الجسدية للأولاد المنجبين مطابقة لرغبة المشرع.

ولهذه الغاية يشير «أرسطو» إلى العمر المرجول للأب والأم وحتى إلى أفضل فترة للحمل وهي برأيه - الشقاء - كما أوصى الأمهات في فترة الحمل أن يعتنين جيداً بأجسادهن، فيتنزهن ويتغذين تماماً، بينما يسرح فكرهن في هدوء كامل.

ومن الملاحظ أن «أرسطو» يرى أن تربية الطفل لا تبدأ بعد ولادته، وإنما تبدأ تربيته قبل ولادته، ولتحقيق ذلك يرى «أرسطو» أنه ينبغي مراعاة التوافق بين الزوجين قبل عقد الزواج، ومراعاة السن الملائم لذلك، بحيث تتناسب الأعمار بين الزوجين والأولاد الذين يخلفونهما، وحتى لا يكون بين الآباء وأولادهم فرق كبير في العمر، يصعب معه قيامهم بتربية أولادهم التربية المناسبة.

ويرى «فيفز» أن كلا من الوالدين ينبغي أن يأخذ دوراً في تربية الطفل، فينبغي أن تكون الأم معلمة الطفل الأولى، ويجب على الأب أن يوجه جميع أوجه تدريب الطفل، وفي حالات نادرة قد يكون من الضرورة بالنسبة للطفل أن يتعلم تعليماً خاصاً بواسطة مؤدب.

ويرى «مونتيني» أنه ينبغي الاستعانة بمؤدب للأطفال، ووضح أن اختيار المؤدب هو أكثر واجبات الوالدين أهمية.

أما «جون لوك» فقد كان يؤمن بالحرية الفكرية للطفل، ولذلك نادى بالآلا يكون التعليم عاماً تحت إشراف الدولة أو الكنيسة، لأن هذه أو تلك ستحاول أن تثبت في النشء ما يتفق وأهواؤها من الآراء والعقائد، لهذا يشير بعض المرين أن «لوك» كان من أنصار التربية المنزلية مفضلاً إياها على التربية النظامية في المدارس، إذ أن الأخيرة تفتقر إلى الإشراف المناسب على الأطفال.

وقد أدرك «جون لوك» مساوئ هذه المدارس، حيث أن التربية فيها تتسم بالخشونة ومجافاتها لروح النظام، كما أن التعليم فيها يتم عن طريق القمع والإكراه، هذا بالإضافة إلى اهتمامها المتزايد بدراسة اللغة اللاتينية وبارهاقها

للمتعلم بالحفظ والاستظهار، وهكذا يجبر المتعلمون على دراسة مواد لا تتصل من قريب أو بعيد بحاجاتهم واهتماماتهم، أو بمدى نفعها فى حياتهم المستقبلية. ويرجع «لوك» السبب فى ذلك إلى فشل المعلمين فى فهم الطفل والتعرف على حاجاته.

### بعض جوانب تربية الطفل طبقاً للفلسفة الواقعية:

وفى ما يلى عرض بعض جوانب تربية الطفل المختلفة طبقاً للفلسفة الواقعية وذلك على النحو التالى:

#### التربية الجسمية للطفل:

أولت الفلسفة الواقعية تربية الطفل جسماً عناية خاصة، ويتضح ذلك من آراء رواد هذه الفلسفة، فكان «أرسطو» ينادى بأهمية التربية الجسمية، والعناية بها قبل الزواج وأثناء الحمل وبعده بالنسبة للطفل، فكان يرى ضرورة العناية باختيار من يصلحون للزواج، وكان يرى ضرورة عدم الزواج إلا للأصحاء، ومن هنا جاءت نصيحته بالقضاء على الأطفال المشوهين والمرضى ليتمتع المجتمع بأفراد أقوى.

كما كان يرى أنه حتى يولد الأطفال أصحاء أن يحدد سن الزواج، وتنظم الأمور المتصلة بإنجاب الأطفال، فرأى أن أفضل سن لزواج المرأة هو الثامنة عشرة، وأفضل سن لزواج الرجل هو السابعة والثلاثين حتى يكون النسل صحيح الجسم سليماً.

كما أكد على الاهتمام بالأم أثناء الحمل، حيث كان يوجه عناية خاصة بالحالة الصحية للام فى فترة الحمل، ملفتاً النظر إلى أهمية نشاطها وكثرة حركتها وإحسان تغذيتها لما له من آثار إيجابية على صحة الجنين.

كما اهتم بتربية الطفل جسماً بعد الولادة، وفى السنوات الأولى لميلاده، فكان «أرسطو» يرى أن الاعتماد على الرضاعة الطبيعية فى تغذية الطفل يعتبر من العوامل الهامة فى تحقيق النمو الجسمى السليم (بعد الميلاد).

كما نصح بتغذيته ورياضة جسمه وتعويدده احتمال برودة الجو تدريجياً، كما ينصح بأن يغذى الطفل باللبن لأنه من أهم الأغذية في هذه المرحلة.

ورغم أن «أرسطو» كان يرى أن هناك علاقة بين الجسم السليم والعقل السليم حيث اعتبر أن تربية الجسم التي تؤدي إلى تكوين جسم سليم تؤدي أيضاً إلى تكوين عقل سليم وراجح. إلا أنه من الملاحظ كان يرى عدم الإكثار من الأنشطة التي تتطلب من الطفل بذل مجهود عقلي حتى لا يعوق النشاط العقلي نموه الجسمي.

كما طالب أرسطو بالاعتدال في ممارسة الرياضة البدنية، وأن تكون هذه الممارسة ملائمة لطبيعة المرحلة العمرية، فالتمارين يجب أن تكون خفيفة بعيدة عن العنف حتى سن المراهقة.

كما يرى أنه ينبغي ألا يتعلم الطفل تعليماً رسمياً قبل بلوغه سن الخامسة حتى لا يعوق نشاطه العقلي نموه الجسمي.

كما اهتم بالألعاب الرياضية باعتبارها من الوسائل الهامة في التربية الجسمية، فمن الملاحظ أنه يؤكد على الجناستك والألعاب الرياضية لضمان الصحة الجسمية والكفاءة في الأعمال، فاستعمال القرص ورمى الجريد من التمارين التي تقوى مهارات جسدية مطلوبة.

ومن هنا يؤكد «أرسطو» على أن الهدف من بناء الأجسام ليس تنمية القوة الهمجية وجعل قوة الجسد تتغلب على قوة العقل، لذا فهو يهاجم التربية الأسبرطية هجوماً عنيفاً إذ أن هذه التربية كانت في رأيه تكون العجاوات ذات العقول البليدة فالخفة في الحركات ورشاقة الجسم يجب أن يستهدفاً في الرياضة.

كما كان يرى أن التربية الرياضية يجب أن تهدف إلى تكوين العادات الطيبة وإلى ضبط الشهوات وكبح جماح اللذات، فلا ينبغي أن تهدف التربية الرياضية إلى مجرد التفوق في الألعاب الرياضية أو إلى الخشونة، فكل نوع من

التربية والتعليم يجب ألا يساير الآخر وذلك لأن نوعى العمل يعارض أحدهما الآخر. فعمل الجسم يعرقل عمل العقل وعمل العقل يعرقل أو يعطل عمل الجسم.

أما « كومنيوس » فكان يرى ضرورة الاهتمام بالتربية الجسمية، وتشابه أراؤه إلى حد كبير مع آراء « أرسطو » فى هذه الناحية، حيث نصح بالعناية بتغذية الطفل والإكثار من تعريضه للهواء الطلق مع تقوية جسمه بالرياضة والألعاب لاستغلال قدرته ورغبته وميله إلى اللعب.

كما يتفق معهم « رابليه » بأن التربية الجسمية تتمثل فى العناية بالنظافة والرياضة، فالنظافة تحفظ الجسد، والتمارين تقويه.

أما « مونتيني » فقد آمن بالتربية الجسمية للطفل وبقيمتها، كما آمن بضرورة تدريب الحواس.

وأما « جون لوك » فقد نادى بأهمية التربية الجسمية واعتبرها المثل الأعلى للتربية، فالقوة الجسدية فى نظره هى التى تساعد الطفل على تحمل المصاعب. ومن أجل التربية الجسمية السليمة وضع « جون لوك » مجموعة من القواعد لتحقيق ذلك حيث أكد على تكوين العادات الصحية الطيبة، كما أوصى ببساطة الطعام ويعطى أهمية للنوم دون الإكثار منه، والقدرة على النوم تحت أى ظروف، وهو يمنع الأطفال من أكل الحلوى وكثرة الأكل. والأكل بين الوجبات، كما أكد على الحاجة إلى التدريبات وألوان النشاط المختلفة فى الهواء الطلق.

كما وضع « لوك » نظاماً خاصاً للتغذية، فهو يرى أن يكون غذاء الأولاد بسيطاً وصحياً فلا يستهلكون السكر والملح والتوابل إلا بمقادير معتدلة، وينصح عموماً بالفاكهة ويشجع على أكل التفاح والأجاص والكرز والمشمش، ولا يحبذ كثيراً أكل الشمام والخوخ والعنب، ويجب ألا تكون الملابس ضيقة لا للذكور ولا للإناث.

ويرى أيضاً أن ما يساعد على نمو الأطفال نمواً جسيماً صحيحاً عدم لس الأطفال ملابس ثقيلة تدفئهم شتاءً وأن يسيروا ورؤوسهم عارية، وأن يناموا مبكراً ويستيقظوا مبكراً.

ومن الواضح أن « جون لوك » كان يهدف من وراء تلك الوسائل إلى تحقيق نوع من الضغط والاعتدال والانتظام في العادات بالجسم، لأن رقة البدن وضعف تكوينه بين أبناء الطبقة الأرستقراطية ترجع إلى ما يستغرقين فيه من تراخ وبدخ وترف، كما أنه كان يرى ضرورة أن يكون الجسم سليماً خشناً متكيفاً مستجيباً لمطالب العقل.

فه جون لوك « اعتبر التربية الجسمية وتقوية البدن مصدر العقل وسلامة النفس وغرس القيم الاجتماعية والخلقية.

يتضح مما سبق أن الفلسفة الواقعية اهتمت بتربية الطفل الجسمية اهتماماً واضحاً وهذا الاهتمام كان نابعاً من رؤية معينة، وهي أن التربية يجب أن تعتمد على نموصحى سليم للمتعلم، واعتبر الغذاء المناسب والتمرينات الرياضية من العوامل الأساسية لهذا النوع من التربية، وأن نمو الطفل وخاصة النمو الجسمي يتأثر كثيراً بالعوامل الوراثية الجسمية والنفسية.

#### التربية العقلية للطفل:

اهتمت الفلسفة الواقعية بالتربية العقلية على أساس أنها غاية في حد ذاتها ووسيلة لإدراك كل شئ وتحليله عن طريق التدريب الصحيح على التفكير، ولذلك كان الاهتمام بالدراسات الأساسية ذات الصلة الوثيقة بالنواحي العقلية والمنطقية الإنسانية.

كما اهتمت الفلسفة الواقعية بالتربية العقلية للطفل فيما قبل المدرسة.

ويتضح ذلك من آراء بعض روادها على النحو التالي:

يرى « أرسطو » أن مرحلة الحفولة تمثل مرحلة نمو جسمي إلا أنه كان يرتبط بالنمو العقلي على أساس أن نمو الجسم السليم في هذه المرحلة يساعد على تحقيق النمو العقلي فيما بعد، لذلك نصح « أرسطو » بالأبدأ التعليم المدرسي الرسمي للطفل إلا بعد سن الخامسة، وإن كان يرى أن يسمح للطفل ببعض الألعاب البسيطة التي تساعد على تحقيق بعض النمو العقلي بشرط ألا تكون معقدة، حيث أن الغرض منها هو الترفيه عن الطفل، كما ترجع لأهميتها للنمو العقلي للطفل.

وقد اعتقد « أرسطو » أن الهدف من التربية هو تنمية العقل والتفكير، كما اعتبر العقلانية أعلى صفة في الإنسان.

ومن هنا يتضح أنه اهتم بتدريب العقل وتنميته عن طريق تعليم النحو والمنطق. كما يؤكد « أرسطو » على دروس العلوم الطبيعية ودروس تاريخ الإنسان، ويرتفع بهما مثل أستاذه « أفلاطون » إلى ما وراء الطبيعة وعلى التفكير في الإله الواحد خالق الكون، فالمعرفة الصحيحة عنده هي المعرفة التي تؤدي إلى إدراك الوجود ما وراء الطبيعة والتأمل فيه.

ويرجع اهتمام « أرسطو » بالجانب العقلي في التربية- بل اعتبره من أهم جوانب التربية- لاهتمامه بالفضائل العقلية كأعلى قيم للسلوك الإنساني.

ويرى « رابليه » أن التربية العقلية يجب أن تحظى بالاهتمام مثل التربية الجسمية، وفي هذا الصدد اهتم « رابليه » بالعلوم المتصلة بالعالم الخارجي وبإنسان. ويرى أنه من المفيد للنفس أن تنعش خيالها، وأن تروح عنها بروية مشاهدة الطبيعة الجميلة وأن يتعرف على كل ما في الطبيعة.

أما « مونتيني » فيرى أنه لكي يربي الطفل تربية عقلية سليمة يجب التركيز على تدريبه على النقد والفهم الصحيح والحكم الصائب.

أما « كومنْيوس » كان يرى أن التربية العقلية يبدأ الاهتمام بها من الأسرة، فكان يرى أن الطفل يتعلم عن طريق الأم بعض المبادئ البسيطة العامة في العلوم والحقائق الكونية من خلال توجيه انتباه الطفل بملاحظة المظاهر الطبيعية المحيطة به حتى تنمو حواسه وتقوى نتيجة لتكرار هذه الملاحظات.

كما أكد « كومنْيوس » على أنه يجب أن يحصل الطفل على ما نريد إعطاؤه للكائن الإنساني من معارف أولية تساعد على تلبية حاجات الحياة، وهذا يعني بصورة أساسية تدريب الحواس لربط الأشياء بالكلمات وتعرض الطفل لاختبارات متنوعة.

ويؤكد « كومنْيوس » أن هناك علاقة وطيدة بين اللعب والتنمية العقلية، وهذا ما يشير إليه البعض من أن « كومنْيوس » طلب أن يهيئ للأطفال وسائل اللعب المفيدة وغير المؤذية لأن قلة النشاط والحركة أكثر ضرراً للعقل والجسم من أى شئ آخر. أما « جون لوك » فقد أدرك حاجة الأفراد إلى التفكير السليم، ولكن يرى أنه رغم أنهم يولدون ولديهم من القوة والملكات العقلية ما يمكنهم من عمل كل شئ، فإنهم غالباً ما يقعون في الخطأ وقد أرجع الخطأ إلى الأسباب التالية:

- نقص البراهين أو الأفكار المتوسطة، أى قلة الأفكار الموجودة في الذهن والتي يمكن أن تكون وسيلة لربط بقية الأفكار الأخرى.
- عدم المهارة في استعمال هذه الأفكار المتوسطة إن وجدت.
- عدم وجود الإرادة لاستخدامها حتى لو توفرت المهارة.
- مقاييس الاحتمال الخاطئة، وهذه قد ترجع إلى:
- أ - استخدام القضايا المحتملة للشك - كمبادئ أولية - مثل القضايا وخاصة المتعلقة بالدين التي يتلقاها الأطفال منذ صغرهم من الوالدين أو المربين في

عقولهم حتى يكبروا وهم يستخدمونها كمبادئ أولية ثابتة مطلقاً صحيحة لا يمكن الشك فى صحتها.

ب- تقبل الافتراضات.

ج - العواطف والإحساسات السائدة.

د - قوة السلطة ويقصد بها « لوك » أن الإنسان غالباً ما يخضع موافقته على الأفكار أو القضايا الشائع استعمالها سواء بين أصدقائه أو جماعته.

كما يرجع الخطأ بصفة عامة إلى افتقار الناس إلى التدريب على العقل السليم.

ومن هذا المنطلق دعا « لوك » إلى التربية العقلية وذلك عن طريق تنمية

العادات الفكرية عن طريق التجربة والانضباط. ويرى أن الرياضيات هى خير وسيلة لهذه الغاية.

وانطلاقاً من ذلك يحدد « لوك » الهدف من التربية العقلية بأنه: أن يفتح

عقل المتعلم على شتى العلوم، ومهمة المعلم أو المربي أن يدرّب ملكات المتعلم ويعلمه حسن استخدام وقته وأن يعوِّده تحمل الآلام ليحقق الكمال فى عمله.

ويتضح من ذلك أن « لوك » يتفق مع بعض آراء الفلاسفة الواقعية الحسية

بالنسبة للتربية العقلية، فقد ربط بين التربية العقلية وتهذيب العقل، وطالب بأن

تتسع مناهج الأطفال للتدريبات الكثيرة فى دوائر الفن والعلم، ولم يقصد ملء

أذهانهم بالمعارف والعلوم المختلفة، وإنما قصد أن تعمل على تكوين عادة التفكير،

وممارسة حرية التفكير الذى يساعد على إضفاء مداركهم، واستثارة نشاطهم العقلى،

فيتعود الطفل منذ الصغر ربط الأفكار ببعضها والمعانى بوجودها فى الحياة.

### التربية الخلقية للطفل:

من الواضح أن التربية الخلقية فى الفلاسفة الواقعية كانت مؤسسة على

قاعدة من الطبيعة لأن الأخلاق تنشأ وتتولد من العادات والتقاليد إما بالضبط

الاجتماعى، أو بالدفع الذاتى بناء على قوة نتائجها الطبيعية. وعلى هذا فالتربية

الخلقية لا تحتاج إلى سلطة خارجة عن الطبيعة، وليس الضمير إلا صدى للعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية لا للأوامر الإلهية.

وقد اهتم الفلاسفة الواقعيين بالتربية الخلقية اهتماماً واضحاً، فقد أولى «أرسطو» التربية الخلقية عناية خاصة، لأنه كان يعتقد بأن كمال الإنسان وخبره المطلق يحقق السعادة، وهذه السعادة يمكن بلوغها عن طريق قيام الفرد بأعماله على أكمل وجه.

وإنطلاقاً من ذلك ينادى «أرسطو» بأن تكون العناية بأخلاق الأطفال في أيدي الحكومة والوالدين لا في أيدي الرقيق، ويجب أن يهدف التدريب الرياضي إلى تربية العادات الطيبة وضبط العواطف والشهوات، فلا يجب أن يهدف إلى مجرد التفوق في الألعاب الرياضية ولا إلى الخشونة والوحشية. ويجب أن نعتنى بما يقع تحت نظر الطفل، فلا يقع إلا على ما هو جميل مستحسن، ولذا منع مخالطتهم للخدم على قدر الإمكان ومنع مشاهدتهم مجالس اللهو والروايات الهزلية. كما اهتم «أرسطو» بوسائل التربية الخلقية حيث يرى أن المواد التقليدية كالموسيقى والأدب من الوسائل المناسبة لها.

كما نصح بعدم ترك الأطفال لرعاية الخدم والعبيد، حتى لا يتعرضوا بأية حال لسماع الألفاظ البذيئة أو رؤية الأعمال المشينة.

ويرى «أرسطو» أيضاً أنه يمكن تنمية التربية الخلقية عن طريق غرس العادات الطيبة.

كما يرى أن من وسائل التربية الخلقية، الموضوعات الأدبية والكتابة والرسم، ويجب أن تعلم لا لفائدتها المادية فقط، بل لتهديب النفس وترقية الفكر وتنمية الذوق، أما الموسيقى فلها عند «أرسطو» شأن عظيم في تهديب النفس

وتثقيف العقل، وإثارة العواطف، وصرف أوقات الفراغ في أفضل أنواع السرور  
فهى التى تبعث النشاط وتثير الغضب وترغب فى الفضائل.

وقد أكد « أرسطو » على أهمية الموسيقى فى التربية الخلقية وفى تزويد المرء  
بالقابلية للتمييز بين الخير والشر والجميل والقبيح، وقد وضع أن للموسيقى مهام  
متعددة منها، أنها واسطة للتسلية، وأنها حرفة لن يتعاطها للارتزاق، ومنها أنها  
تروض العقل والروح، وهذه المهمة الأخيرة هى ما يجب أن تؤكدتها التربية، كما أنه  
فى الألحان الموسيقية تصوراً للحالات النفسية والخلقية من شجاعة وغضب  
واعتدال ومن رقة ولحلف إلى غير ذلك، ولذلك يرى لابد من استخدامها فى تربية  
النشء، كما يرى أن يمنع كل بناءة فى الحديث أو رؤية لوحات فاحشة لأنه يجب حماية  
الولد من كل انطباع شائن يجعل كل ما هو لا أخلاقى مرذول غريباً عن فكر الناشئة.

ومن الملاحظ أن « أرسطو » بنى رؤيته هذه على أن الإنسان - حسب وجهة  
نظره - يتكون من طبيعة وعادة وتفكير، والعادة تسبق التفكير، ولما كانت النفس  
الشهوانية تظهر قبل النفس المنطقية كان من الضرورى أن يربى الإنسان على  
ضبط الشهوات بالعقل.

أما « جون لوك » فقد أعطى للتربية الخلقية أسبقية على التربية العقلية التى  
هى أمر ثانوى بالنسبة للهدف الأساسى للتربية، وهو بناء الأخلاق، فالتربية  
الخلقية فى نظره تنحصر فى قوة النفس وفى قدرة الإنسان على إنكار ذاته  
والقضاء على رغباته وميوله التى لا يسمع بها عقله.

والملاحظ من وجهة نظره أن التربية الخلقية تتم عن طريق تدعيم سلطة  
الوالد أو المعلم، وينبغى أن يتعود الأطفال على تقبل أوامر الأب والمعلم على أن  
يتحكم الخوف فى تحديد سلوكهم فى طفولتهم ويتحول محور السلوك إلى الحب  
والصداقة عندما يكبر الطفل.

ولهذا فقد أكد على بث الفضيلة والأناة والتهديب، وطالب بالبعد عن الوعظ والإرشاد والمجردات، والاهتمام بغرس الفضائل من خلال العادات الطيبة، وأوضح أن التربية الحقيقية هي التي تحقق التحكم في الرغبات والغرائز، وتكمن في تعود ضبطها لإطاعتها.

أما « مونتيني » فيرى أنه يجب أن تعمل التربية على تنمية الضمير الأخلاقي للفرد، وتربية الحكمة والنزعة إلى الفضيلة لديه، ولذلك فمن وجهة نظره أن الأخلاق عملية واقعية تتصل بواقع الحياة، وتجنب التزمت والشكالية والمثالية المعنوية، وتسمح للشخص بالتمتع بالحياة الجميلة البريئة.

لهذا يرى « مونتيني » إن الإعداد الخلقى للفرد يكون من أجل التكيف للتقاليد الاجتماعية للرجل المذهب شاملة اكتساب تلك القدرات مثل القدرة على معافرة الخمر بتمهل.

وبالنسبة للتربية الخلقية عند « كومنيوس » فيرى أن المدرسة هي المؤسسة التي يقع على عاتقها نشر المعرفة، وتقويم الأخلاق، موضحاً أهميتها في التربية الخلقية وذلك على النحو التالي:

- ينبغي أن تثبت جميع الفضائل في نفوس الأطفال.
- تأتي في مقدمة الفضائل فضيلة الفطنة والحذر، وفضيلة ضبط النفس، وفضيلة الثبات والعزم، ثم فضيلة العمل، وهذه هي الفضائل الرئيسية التي تبنى عليها باقى الفضائل فتتكامل جميعها في كل منسجم.
- أما الفطنة والحذر فيحصل عليها التلميذ بالتعلم الجيد وبالتفريق بين القيم النسبية للأشياء بحيث يمكنه تمييز الخبث من الثمين بحيث تكون أكامة سليمة عندما يبلغ سن الرجولة.

- يتعلم التلميذ ضبط النفس عندما يتعود على ضبط شهوته في الأكل والمشرب وفي النوم وفي اللعب والعمل ويدرب التلميذ على مراعاة عدم الإفراط في أى شئ والإحجام عن التماهى فى أى اتجاه.
- أما فضيلة الثبات والعزم فتكتسب بأن يعود على التحكم فى نزواته كرهبته فى اللعب فى غير أوقاته وكبح جماح غضبه وصبره على المضايقات وإطاعة أوامر الكبار فى كل ما يأمرونه.
- يعود الصغار على التمسك بالعدل عندما يدرّبون على عدم الإضرار بأحد، وعلى إعطاء كل ذى حق حقه وتجنب الكذب والخداع والتعامل بالحسنى مع الناس.
- تكتسب الصراحة بالتعامل المستمر مع الناس وبسلوك لا يتغير سواء فى حضورهم أو غيابهم، وينبغى أن يتعلم الصغار أولاً قوانين المخاطبة لهم من خلال أنماط من الأحاديث مع أقرانهم وأساتذتهم وأبائهم وخدمهم، ويدربون على هذه الأمور حتى تصبح طبيعة ثابتة لهم.
- يتعلم الصغار تحمل المشاق إذا درّبوا على العمل المتواصل سواء أكان عملاً جاداً أم لعباً، كما ينبغى شغل أوقات الصغار
- أما فضيلة العمل فيجب غرسها فى الصغار بصبر وأناة، ذلك لأن الأناية نزعة فطرية تجعل الفرد لا يفكر إلا فى مصلحته الذاتية ولا يأبه بأحد.
- ينبغى غرس الفضائل فى نفوس الصغار فى سن مبكرة قبل أن تهجم الرذائل على نفوسهم وتتملكها.
- إن ممارسة الفضيلة واتباع الطريق السليم فى كل الأعمال العقلية هى السبيل لتثبيتها فى النفس.

- يتعلم الصغار الفضائل من البيئة حولهم، من سلوك آبائهم ومعلميهم ورفاقهم ومربياتهم في المنازل، فسلوك كل هؤلاء هو النمط الذي يقلده الصغار، فلا بد لهم أن يكونوا قدوة حسنة للصغار.
- بالإضافة إلى ممارسة السلوك الفاضل عن طريق التقليد فإن التوجيه الشفوي الحكيم يفيد أيضاً في بث الفضائل.
- ينبغي حماية الصغار من صحبة الأشرار، إذ أنهم سرعوا التأثير، فإذا ما لازمهم ذوو سلوك مصيب انتقلت إليهم العدوى، وشغل أوقات الصغير بالعمل واللعب يقيه من صحبة أهل السوء.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن التربية الخلقية طبقاً للفلسفة الواقعية تقوم بها الأسرة (الأب والأم) وليس العبيد والحكومة حتى يتربى الأطفال على الطاعة والالتزام، كما أنها تتم من خلال وسائل متعددة منها: التدريب الرياضي لتنمية عادات ضبط النفس، قراءة الموضوعات الأدبية والرسم لما لها من فائدة معنوية في تهذيب النفس وسمو الفكر ونمو الذوق، كما اتضح أن تعلم الموسيقى كان من أجل إثارة العواطف وصرف أوقات الفراغ في نشاط محدود.

#### المعلم في ضوء الفلسفة الواقعية :

من الملاحظ أن المعلم في الفلسفة الواقعية حظى باهتمام واضح باعتباره أحد العناصر الهامة الرئيسية في أي نظام تربوي، ورغم هذا فإن بعض الكتاب يرى أنه لا يوجد أثر لهذا الموضوع عند «أرسطو» والأغرب من ذلك أن «أرسطو» خلال تعداده الوظائف الحكومية المختلفة في الدولة الفاضلة، لم يلمح نتائماً إلى المعلم. بينما أشار البعض إلى أن «أرسطو» يرى أن واجب المعلم (المربي) أن يحمل الطفل على التمييز بين الخير والشر وإخضاع الشهوة للعقل.

أما « فيفز » فيرى أنه يجب أن يكون المدرسين ذوى مقدرة قوية على الدراسة والبحث. كما ينبغى أن يكون إعدادهم إعداداً شاملاً على كثير من الممارسة، وينبغى أن تدفع أجور هؤلاء المعلمين من الأموال العامة، كما أنه لا ينبغى على أى مدرس أن يقبل نقوداً من أى من تلاميذه.

يتضح من ذلك أن « فيفز » يؤكد على أن المعلم لا بد أن يكون باحثاً، أو أن تكون لديه قدرة بحثية بالإضافة إلى القدرة التدريسية، كما أنه يرى ضرورة إعداد من يقوم بعملية التدريس، وهذا لا يعنى أن أى أحد يقوم بهذه المهمة، كما طالب أن يكون المعلم متصفاً بالنزاهة وضرورة معيشته عيشة كريمة، والذي يتمثل فى إعطائه مقابل هذا العمل من الدولة حتى لا يتدخل أحد فى عمله.

ويعد « فيفز » من الذين اهتموا بمبنى المدرسة وموقعها حيث يرى أن موقع مبنى المدرسة ينبغى أن يختار اختياراً بعناية فائقة، وأنه يعطى اهتمام ملحوظ إلى تخطيط وتشبيد وتجهيز المبنى.

أما « كومنيوس » فيرى أن المعلم هو خادم الطبيعة وليس سيدها ويجب أن يكون التدريس مناسباً للطفل وليس العكس.

أما بالنسبة للعلاقة بين المعلم وتلاميذه، فمن الملاحظ أن « جون لوك » حددها على النحو التالى: أوصى « جون لوك » بأن تكون العلاقة بين المعلم وتلميذه علاقة ود وحب بعيدة عن القسوة واللجوء إلى العقاب، وفى الوقت الذى يوصى فيه المعلم باللين وعدم اللجوء إلى العقاب، فإنه يوصيه أيضاً بالحزم فى المعاملة وعدم اختفاء الإطراءات والجوائز على التلميذ، فالجوائز لا تقل خطراً عن العقاب.

ويرى « لوك » أن المعلم هو الشخص الوحيد الذى يحل محل الوالد للطفل وذلك لنزاهته وعلمه، وهو الذى يستطيع إرساء أصول الفضائل فى نفس الطفل من خلال علاقته الشخصية مع كل تلميذ.

كما أنه يجب على المعلم أن يستعين بالطرق والأساليب التي تحبب الطفل وترغبه فيما يرغب من تعلم، وأن يقوم المعلم بتعريف الأطفال على استخدام تفكيرهم في حدود إمكاناتهم وقدراتهم.

ويجب على المعلم أن يجيب على أسئلة الطفل بصدق وأمانة عندما تكون لديهم رغبة حقيقية في المعرفة.

وأن يتفاهم مع الأطفال بهدوء ورافة عندما يخطئون، ويرى أنه يجب أن يكون المعلم على قدر كبير من الثقافة والأخلاق والقدرة الفائقة على التفكير.

أما « مونتيني » يرى أن يكون المعلم من ذوي الفكر الجيد لا من ذوي التفكير المشوه بالمعلومات، كما يجب أن يكون على درجة من الخلق والذكاء، ويجب عليه القيام بمهمته متبعاً طريقة جديدة.

كما يرى أن يثير المعلم حب استطلاع الأطفال مما يجعل الطفل يبحث عن الأشياء المحيطة به بداته، وأن يكتشف الأشياء الجديدة من حوله.

كما طالب « مونتيني » بأن يقوم المعلم بمراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، وأن يقوم بربط التعليم بالحياة.

وترى الفلسفة الواقعية أنه لا بد من توافر بعض الشروط فيمن يقوم بالعملية التعليمية وذلك على النحو التالي:

١- أن يكون المعلم ضليعاً في مادته التي يقوم بتدريسها، حيث إن وظيفته تتركز في أن ينقل إلى المتعلمين بإصرار وجبر ما يراه صحيحاً، وتعترف الأغلبية بأنه حقائق حياتية.

٢- أن يهتم المعلم بالأنشطة المدرسية، حيث إنهم ينعون على التربية التقليدية فصلها بين العمل المدرسي والمجتمع الخارجي، بل أنهم لا يشفقون على المعلم

الذى يتجاهل قيمة النشاط المدرسى ويصر على دفع التلاميذ إلى الكتب المقررة يخرزنون معلوماتها حتى إذا جاء الامتحان أفرغوا على ورقاته ما اخترنوا.

ويضيف بعض المربين أن الفلسفة الواقعية حددت بعض الشروط الواجب

توافرها فى المعلم بالإضافة إلى ما سبق وذلك على النحو التالى:

- أن يوصل المعلومة إلى أطفاله بطريقة غير شخصية (موضوعية).

- أن يكون دارساً لعلم نفس الطفولة، وعلم نفس المراهقة.

- أن يكون قادراً على تكيف المادة طبقاً لميول تلاميذه.

- أن يجعل علمه ذا نزعة إنسانية.

- أن يكون قادراً على مساعدة تلاميذه فى القيام بالاكتشافات.

### المنهج طبقاً للفلسفة الواقعية:

تنبع الفلسفة الواقعية من وجهة نظر أساسها أن الحقائق مصدرها الواقع،

أى أن هذا العالم الذى نعيش فيه من خلال تفاعل الأفراد مع هذا العالم فى

الخبرات اليومية، ولهذا فإن المنهج قد تأثر بوجهة النظر هذه، ويتضح ذلك من

خلال الآتى: يتكون المنهج من خلال الفلسفة الواقعية من مجموعة حقائق التى

اكتشفها العلماء فى العالم الذى نعيش فيه لا من عالم آخر ومكونات المنهج

الواقعى متى اكتشفت تصبح ثابتة ويكون تغييرها بطيئاً.

ولهذا يعتقد الواقعيون أن المنهج بحسن تنظيمه على أساس ارتباط المواد

الدراسية بالمبادئ والأسس السيكولوجية للتعلم، التى تدعو إلى التدرج من البسيط

إلى الصعب، كما يجب أن تكون هذه المواد الدراسية هى العلوم والرياضيات

والإنسانيات والعلوم الاجتماعية والقيم، ويجب أن يعطى الاهتمام للعلوم

والرياضيات لأهميتها بالنسبة للعالم الطبيعى ولأنها تساعد الإنسان على أن

يتكيف ويتقدم فى بيئته الطبيعية، أما الإنسانية فليست لها هذه الأهمية ولكن لا

ينبغى تجاهلها فى المنهج المدرسى لأنها ضرورية لمساعدة الفرد على التكيف مع بيئته الاجتماعية.

ومن الملاحظ أن المنهج فى الفلسفة الواقعية كان يوضع على أساس حاجات التلاميذ ومنفعتهم والفائدة التى تتحقق له من وراءه، فكان المنهج عند «جون لوك» يوضع تشكيله لمبدأين أساسيين:

الأول: الحاجات الخاصة بتربية الجنئلمان، إذ أن التربية ينبغى أن تصاغ بحيث تتناسب مع مكانة الفرد وحاجته.

الثانى: المبدأ الخاص بمدى منفعة مواد الدراسة للمتعلم لذلك كان «لوك» يقلل من شأن المواد التى لا تؤدى بصفة مباشرة إلى إعداد صاحبها للحياة.

لهذا يرى «لوك» أن محتوى المنهج ينبغى أن يعمل على تنمية الفضيلة لدى الأطفال، وذلك عن طريق ترسيخ صورة صحيحة عن الخالق، ويجب أن يعود الأطفال طبقاً لسنهم ومقدرتهم على الصلاة، وأن يتحروا الصدق فى القول وأن يتحلوا بالطبع الحسن، كما ينبغى أن ينمى لديهم الحكمة وذلك بتعودهم على التصور الصحيح للأشياء، ورفع مستوى تفكيرهم وعقولهم وإبعادهم عن الزيف والخداع.

وأن ينمى لديهم التهذيب وذلك عن طريق تهينتهم عقلياً إلى عدم الإساءة للآخرين، وأيضاً بالطرق التى تلقى القبول من الآخرين بشرط أن تكون مناسبة لهم، وأخيراً ينمى فيهم التعلم وهذا هو الجانب الأصغر.

ويرى «لوك» أن الجوانب الثلاثة الأولى يمكن اكتسابها عن طريق القدوة والأمثلة الواقعية، والبعد عن الأوامر والنواهى.

وإنطلاقاً من ذلك رفض «لوك» دراسة بعض المواد الدراسية المختلفة، حيث أشار البعض إلى أن «جون لوك» عارض إغراق الأطفال تحت سيل من

قواعد النحو والصرف ملاحظاً أنه كان بالإمكان تعلم الإنجليزية بصورة طبيعية، كما يندد بتمارين الإنشاء وحفظ أبيات الشعر اللاتينية، وفى نفس الوقت شجع دراسة بعض المواد الأخرى، فإنه يرى أنه ينبغى أن يتضمن المنهج دروساً أخرى من المعرفة كالرقص الذى يحسن تعلمه فى سن مبكرة، وعدم العزف على آلة موسيقية لأن الموسيقى تضيع وقتاً كبيراً على الأطفال، كذلك يحسن تعلم المسابقة والفروسية.

ومن هنا يتضح أن المنهج الذى اقترحه « جون لوك » كان يتضمن المواد التالية: القراءة والكتابة، الإنشاء، اللغات الأجنبية، التاريخ والجغرافيا، العلوم، المهارات اليدوية، التربية البدنية، والأنشطة الترويحية.

كما أضاف « لوك » الموسيقى والرقص باعتبارهما ضروريان للتربية ولكنه فى نفس الوقت نبه إلى عدم الاستغراق فيهما إلا بالقدر الذى يسمح باكتساب قدر معقول من المهارات، أما بالنسبة للسفر والرحلات كجزء من التربية فإن « جون لوك » نصح بتأجيلهما حتى يكون الشاب قد أعد إعداداً كفيلاً بأن يبعده عن أخطار الإغراء.

يتضح من ذلك أن المنهج بالنسبة للفلسفة الواقعية وخاصة المنهج المقترح من « جون لوك » يمتاز بالشمول، كما أنه منهج متوازن هدفه الصريح تدريب العقل والخلق أكثر منه تحصيل العلوم والمعارف.

ولهذا يرى « مالكاستر » أن محتوى المنهج للأطفال يتكون من القراءة والكتابة كإعداد ضرورى لجميع المواطنين، وأعطيت اللغة الوطنية الإنجليزية المنزلة الأولى فى تلك المدارس سواء أكان ذلك على أساس كونها لغة التدريس أم أنها أساس كونها مادة دراسية فى حد ذاتها، ثم أدخل الرسم والموسيقى فى تعليم

الجميع، وكانت هاتان المادتان الوحيدتان اللتان تقدمتا بمعنى التدريب أو الهدف الدراسي، ولم يوضع شرط أو نص لدراسة الظواهر الطبيعية.

أما بالنسبة للعلوم التي يجب أن يلم بها الأطفال بداية من سنوات حياتهم المبكرة فقد حددها « كومينوس » في الآتي:

١- الميتافيزيقا ( علم ما وراء الطبيعة ): حيث يرى أن هذا العلم يجب أن يكون نقطة البداية في تربية الطفل، فبالرغم من أن الأطفال يرون ويسمعون ويتذوقون ويلمسون، إلا أنهم لا يدركون الأشياء التي يتحسسونها تماماً بالتدرج، فتكون لديهم مدركات عامة مثل شيء، أين، متى يشبه أو لا يشبه، فهذه الأشياء هي بداية علم الميتافيزيقا.

٢- الفيزياء يرى « كومينوس » أن الحفل خلال السنوات الست الأولى من عمره يمكنه تعرف ماهية الماء والأرض والهواء والمطر والثلج والصقيع والحديد والأشجار والطيور والأسماء وغيرها، كما يتعلم أسماء أعضاء الجسم الظاهرة ووظائفها، لهذا يرى « كومينوس » أن هذه المعرفة من الممكن أن يتعلمها الحفل في هذه السن، وأن تمهد له الطريق لدراسة العلوم الطبيعية فيما بعد.

٣- مبادئ علم البصرييات، إن الطفل عندما يفرق بين النور والظلام، ويفرق بين الألوان الأساسية كالأبيض والأحمر، فإنه يستطيع أن يتعلم مبادئ علم البصرييات.

٤- مبادئ علم الفلك، تشمل هذه المبادئ على معرفة الطفل للسماء والشمس والقمر والنجوم، ويستطيع الحفل أن يتعلم مبادئ علم الفلك أيضاً بمشاهدته لشروق الشمس وغروبها.

- ٥- مبادئ علم الجغرافيا، يتعرف الطفل عليها عندما يدرك طبيعة الجبال والوديان والسهول والأنهار، كما يتعرف على القرى والمدن والدول المحيطة بالمكان الذى تربى فيه.
- ٦- علم التقويم، وتتكون قواعد هذا العلم عندما يفهم الطفل معنى الوقت كالساعة واليوم والأسبوع والشهر والسنة، ومعنى الصيف والشتاء، والمقصود بكلمة أمس وكلمة أول أمس وكلمة يوم.
- ٧- علم التاريخ، يعرف الطفل هذا العلم عندما يتذكر ثم يحكى ما حدث منذ وقت قريب، وأيضاً عندما يقوم بسرد قصة شخص قام بعمل معين له قيمته فى حياته كطفل.
- ٨- علم الحساب يستطيع الطفل فى هذه المرحلة (الست سنوات الأولى من عمره) أن يتعلم القواعد التى يرسو عليها علم الحساب، فيتعلم أن يفرق بين القليل والكثير، وأن يعد من الواحد إلى العشرة، وأن يعرف أن الثلاثة أكبر من الإثنين.
- ٩- مبادئ الهندسة، يتعلم الطفل مبادئ هذا العلم بأن يدرك معنى كبير، صغير، طويل، قصير، عريض، سميك، رفيع، وأن يعرف الخط والدائرة، كما يتعرف على كيفية قياس الأشياء بالقدم والياردة، فإذا أدرك الطفل هذا فقد تعلم مبادئ الهندسة.
- ١٠- مبادئ علم الأستاتيكا، يمكن للأطفال الإلمام بهذه المبادئ عندما يرون الأشياء توزن أو عندما يبدأون فى تخمين وزن الشئ تقريباً دون ميزان باستخدام أيديهم للوزن فيفرقون بين الخفيف والثقيل.
- ١١- علم الميكانيكا، حيث يمكن تدريب الأطفال على هذا العلم بأن يستخدموا أيديهم باستمرار فى نقل الأشياء من مكان إلى آخر، وفى إعادة تنظيمها

أوفى هدم شئ أو بنائه أوفى رباط عقده ثم حلها، وهذه أمور نستهيى الأطفال الصغار، وينبغى أن يشجع الطفل عليها وأن يقدم له كل العون فى سبيل تأديته لها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً لأن هذه الأنشطة ما هى إلا محاولات للتعبير عن عقل نشط فى جهود ميكانيكية حركية.

١٢- تعلم الحوار. يتعلم الطفل العناصر العقلية المؤدية إلى التفكير المنطقى عن طريق الحوار بملاحظة الطريقة التى تسير عليها المناقشات عن طريق السؤال والجواب، فيتعلم أن يسأل عن شئ ويجيب عن الأسئلة التى توجه إليه، ومن ثم ينبغى أن يتدرب على توجيه أسئلة معقولة، وأن يجيب عن الأسئلة التى توجه إليه إجابة مباشرة.

١٣- تعلم قواعد اللغة، أول معلم لهذا العلم هى الأم، فالطفل يتعلم لغة الأم، ومن ثم ينبغى أن تعمل الأم على أن تتكلم بعبارات صحيحة وذلك بنطقها للكلمات بمقاطعها وحروفها ونبراتها نطقاً صحيحاً.

١٤- تعلم فن الخطابة والتعبير، عندما يشب الطفل يتعلم فن الخطابة والتعبير بأن يحاكي بعض العبارات التى يسمعها فى محادثات أفراد الأسرة مع الاستعانة ببعض التعبيرات الحركية الملائمة لما يقلده، وأن يتحكم فى نبرات الكلمات التى ينطقها بحيث تناسب وما يحاكيه.

ويرى « كومنيس » أن هذه المهارات الكلامية يمكن الحصول عليها بطريقة تلقائية من قبل الطفل، إلا أن التوجيه فى هذه الناحية يفيد الطفل كثيراً وخاصة إذا أخطأ.

١٥- تعلم الشعر، ويتم ذلك بأن يحفظ الطفل مقطوعات شعرية صغيرة عن ظهر قلب، ولاسيما إذا كانت تدور حول موضوعات أخلاقية.

١٦- تعلم مبادئ الاقتصاد، وتبدأ معرفة الطفل بهذا العلم عندما يتعلم أسماء أفراد أسرته، ويعرف أسماء أجزاء المنزل مثل الصالة، المطبخ. يعرف أيضاً الأدوات المنزلية كالمنضدة والسكين.

١٧- تعلم السياسة، إن تعليم الطفل السياسة أمر ليس باليسير في الست سنوات الأولى من عمره كما يرى « كومنيوس ».

أما « مونتيني » يرى أن محتوى المنهج يجب أن يكون متصلاً بحياة الطفل ومساعدة له على تقويم خلقه وتكوين ضميره وتنمية القدرة على الحكم الصائب لديه وتدريبه على النقد والفهم الصحيح، كما أعطى أهمية خاصة للرحلات والأسفار الخارجية في منهج الدراسة، لأن من شأن هذه الرحلات إتاحة الفرصة للتلميذ التفاعل مع شعوب العالم، والتعرف على عاداتها وتقاليدها ومعرفة لغاتها. ولهذا دافع « مونتيني » عن استخدام منهج النشاط، واحتقر فكرة أن مجرد دراسة الكتب تعطى تعليماً ملائماً، وكانت الخبرة بالنسبة إليه أكثر أهمية من الكتب والكلمات، وطالب بالإبقاء على دراسة اللغة اللاتينية كجزء من دراسة الرجل المهذب، وكان يرى أن دراسة اللغات الأوروبية المعاصرة مهمة لأنها مطلوبة في محادثة الناس في الوطن وفي الخارج.

يتضح من ذلك أن الفلسفة الواقعية تؤثر على: انتقاء المواد الدراسية وهي تلك المواد التي تعطى أفضل النتائج التربوية، ومن ثم فإنه في تقرير الصواب والملاءمة لمادة ما فإنه يجب أن يعطى الاهتمام لما يلي:

- التدريب السابق للتلميذ.

- العلاقات الداخلية بين الأجزاء المختلفة للمادة.

- المطالب الاجتماعية للتلميذ الذي يريد أن يتدرب.

وهذا يعنى إعطاء الاهتمام لكل هذه الأوجه والمظاهر وإعداد التلميذ لحياة سعيدة.

### طرق التدريس طبقاً للفلسفة الواقعية :

لما كان المنهج فى الفلسفة الواقعية يقوم على الواقع فإن ذلك انعكس على طريقة التدريس، فمن الملاحظ أن طريقة التدريس فى التربية الواقعية تخضع لبدأ المثير والاستجابة، حيث يحدد الواقعى أهدافه التربوية بالمتغيرات، كما تعتمد الطريقة على التكرار والتدعيم.

ومن هنا فإن المدرس الواقعى يقوم بتقسيم موضوع درسه إلى عناصره الأساسية وتحديد المثيرات والاستجابة لكل منها، ومن ثم يقدمها للتلاميذ بطريقة تجعلهم يستجيبون الاستجابة الصحيحة للمثير المحدد، كما يقوم المدرس بتكرار المثير لى تتبعه الاستجابة الصحيحة.

وإنطلاقاً من ذلك فإن « جون لوك » وضع طريقة لتعليم الأطفال عن طريق اللعب. وكيف يتمرنون مراراً وتكراراً للتفوق فيه. مقترحاً استعمال الكعاب وغيرها من الدمى التى تحفر عليها الأحرف لتعليم الأطفال الأبجدية، ومن الأحرف ينتقلون إلى المقاطع، ثم إلى كتب سهلة وممتعة فى طبعه مصورة إن أمكن، كما يوصى « لوك » باستعمال رسوم للحيوانات مع أسماءها تحت الصورة، أما فيما يتعلق بالكتابة فإن الشئ الأول الواجب تعليمه هو حسن مسك الريشة، ثم الطالب إلى التلميذ أن يكتب أحرف كبيرة سبق رسمها على ورقة بيضاء، والكتابة تقود طبيعياً إلى الرسم حيث يتم التركيز فيها على الأبعاد المختلفة.

كما يرى « لوك » أن أسلوب التدريس يجب أن يكون بضرب الأمثلة أكثر من ذكر القواعد والأحكام، كما يجب أن يلائم الأسلوب صفات التلميذ الذهنية والجسدية والعاطفية.

ويتفق معه « رابليه » إلى حد ما، حيث يرى أن الطريقة التى تتبع فى تعليم الأطفال طريقة حدسية تقوم على المزج بين القراءة والملاحظة المباشرة تعطى فيها الدروس بحضور الأشياء نفسها، كما يهتم بأن يتعلم الطفل عن شوق ورغبة، وأن يتوقف وهو يلعب، وأن يدرس عن طريق اللهو والتسلية، كما اهتم بالفنون المسلية، فالتلميذ مرة يطالع الكتب ومرة يلجأ للملاحظة الطبيعية بجميع مظاهرها.

يتضح من ذلك أن « لوك » اهتم بالأساليب التربوية التى تعتمد على تدريب الحواس فى تعليم الأطفال وذلك من أجل تنمية الإدراك الحسى للطفل، والذى اعتبره المحور الأساسى فى التربية، حيث يرى « لوك » أن الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء، وأن تكوين عقله يتم من خلال ما يصل إليه من خلال حواسه، فالحواس تعد من وجهة نظره نوافذ المعرفة ومصادرها، ويجب الاعتماد عليها فى استخلاص الحقائق من خلال الطريقة الاستقرائية على الملاحظة والتجريب ثم الاستنتاج.

كما اهتم « لوك » بتربية العطف من خلال الرحلات والنزهات، واعتبرها إحدى وسائل التربية فى الطفولة المبكرة، فمن خلال الرحلات يتعرف الطفل على بيئته فتشبع حاجاته وتنمى قدرته على التفكير، هذا بالإضافة إلى شعور الطفل بالسعادة والمتعة.

ف« جون لوك » يرى أن تعليم الأطفال يجب أن يتم من خلال الأنشطة الرياضية والفنية والرحلات.

أما « مالكاستر » فقد حث على وجوب دراسة الأطفال، واحترام قدراتهم الفطرية، وتحليله السيكولوجى لثلاث قوى طبيعية لدى الأطفال، الذكاء النوعى الذى يدرك، الذاكرة التى تحفظ، الحصافة التى تميز، لم تكن مؤثرة أو فعالة جداً، ولكنها كانت فى الاتجاه الصحيح، ورغبته فى استخدام الميول الطبيعية للتلاميذ وأنشغلهم عن طريق استخدام الألعاب الرياضية، وعن طريق اللعب، وعن طريق التمرينات كانت سليمة من وجهة النظر التربوية.

أما « مونتيني » فقد اهتم بالطرق العلمية والتجربة وملاحظة الأشياء والأشخاص في تعليم الطفل، وعلى الطفل أن يسبر غور كل إنسان، وعلينا أن نزوده بالمعارف نحو شئ حوله من بناء أو إنسان أو مكان، فالأشياء في رأيه فينبغي أن تسبق الألفاظ وفي هذا الصدد يقول يجب أن يختبر المعلم قابلية الفكر الذي عهد به إليه، وعليه أن يصنعه تحت التجربة جاعلاً من تلميذه ذواقاً للأشياء مكتشفاً لها، ونختار إياها من تلقاء ذاته، وأن يفتح الباب أمامه أحياناً، أن يتركه أحياناً أخرى يفتحه بنفسه، إنى أوده لا يبدأ بالموضوع دائماً وأن يحتكر الكلام، بل أن يصغى بينما يتكلم التلميذ.

فهذه دعوة من « مونتيني » أن يقوم الطفل باكتشاف المعلومات، وأن تكون مناسبة له وبياء على رغبته، كما أنه ينادى بأسلوب المناقشة في التدريس، وألا يقوم المعلم بإلقاء الدرس، وإنما ينبغى إعطاء الفرصة للأطفال لمناقشته والحوار معه. ولهذا فإن « مونتيني » رفض الطريقة التقليدية المتبعة في عصره والتي كانت تقوم على القسوة والعقاب، وتركز على الحفظ وحشو الذاكرة بالمعارف الجافة، وإهمال خبرة التلاميذ وأنشطتهم وتطبيقهم لما درسوه.

من هنا نادى بطريقة تهتم بالفهم قبل الحفظ وتتيح الفرصة للعمل والتطبيق، وتراعى الفروق بين التلاميذ، وتجنب اللجوء إلى القسوة. ويرى « بيكون » أن يفضل استخدام الطريقة الاستقرائية والملاحظة المضبوطة للظواهر الموضوعية للعالم الخارجي على أساس كونها المصدر الحقيقي للمعرفة.

ويرى « أرازمس » أن طريقة التدريس يجب أن تتضمن تقديم مختارات منها للتلاميذ حتى تتشبع نفوسهم بما فيها، كما رأى أن تبني طريقة التدريس

على أساس التشويق والترغيب وليس على أساس العقوبات القاسية، وليس على النظام المدرسى القاسى.

كما يرى أن طرق تربية الطفل يجب أن تبنى على أساس فهم عميق لطبيعته الخيرة، وأن تراعى الفروق الفردية بين الأطفال، فلا تطبق وسائل موحدة على كل التلاميذ وإنما تتاح لهم الفرص التربوية لكي تتكون حواسهم وتنمو نمواً سليماً فى إطار من الحرية.

أما « راتك » فقد سعى وراء طريقة الطبيعة، والنظام الطبيعى إلى أن ينمو العقل فيه، وقد قام بتطوير طريقة التدريس على المبادئ التالية: كل شئ يجرى فى نظامه مجرى الطبيعة، شئ واحد فى المرة الواحدة، ينبغى أن يكون كل شئ كثيراً، كل شئ أولاً باللغة الوطنية، كل شئ دون إجبار، لا شئ يجب أن يتعلم عن طريق الصم أى الحفظ عن ظهر قلب، المواد المتشابهة يجب أن تدرس بنفس الطريقة، الأشياء أولاً وبعد ذلك شرح الأشياء، كل شئ عن طريق الاستقراء أو الاستنتاج والتجريب، ولذلك فإنه يرى أن عمل التربية يمكن أن ينجز فى وقت أقصر بكثير والملاحظ أن الفلاسفة الواقعيين وضعوا بعض المبادئ والقواعد لطريقة التدريس، فيرى « كومنيوس » أن أهم القواعد التى تراعى فى طريقة التدريس تتمثل فى:

- وجوب تقديم الشئ إلى الطفل مباشرة لا عن طريق الوصف أو الرمز.
- وجوب الحرص على التطبيق العملى فى الحياة اليومية فى كل ما يعلم.
- وجوب التعلم فى شكل مباشر وميسط.
- وجوب الإشارة إلى طبيعة ما يعلم بشكله الحقيقى عن طريق الدلالة على أصوله وأسبابه.
- وجوب البدء بشرح المبادئ العامة لما يعلم ثم الانتقال إلى التفاصيل.

- وجوب تعلم أجزاء الشيء بحسب تركيبها ووضعها أو علاقتها ببعضها.
- وجوب عدم ترك الموضوع قبل التأكد من فهم التلميذ له.
- وجوب تعلم الأشياء بالتدرج وعدم تعليمه أكثر من شئ واحد في الوقت الواحد.
- وجوب التأكد من الفروق الفردية التي توجد بين الأشياء المختلفة حتى تكون معرفة التلميذ عنها واضحة لا غموض فيها.
- يتضح من ذلك أن طرق التدريس التي وضعتها الفلسفة الواقعية تتفق إلى حد كبير مع طرق التدريس الحديثة بعد أن أضيف إليها الصيغة العلمية مما جعلها أكثر فائدة.

#### الثواب والعقاب من منظور الفلسفة الواقعية :

اهتمت الفلسفة الواقعية بقضية الثواب والعقاب، فقد رفضت العقاب حيث انتقد « جون لوك » بشدة أسلوب العقاب البدني في التربية، على الرغم من الشدة التي اتبعها في المبدأ الأخلاقي. ويرى أن الوسيلة الوحيدة للانضباط الذاتي هي تنمية الشعور بالكرامة عند الطفل.

كما يرى أيضاً أهمية البعد في تخويف الطفل أثناء تربيته حيث إنه لم يتعلم الطاعة وشيخ العصا أمام عينية، والبعد عن القسوة الذاتية التي تهدد عقول الأطفال وتحطم روحهم.

وقد وضع « لوك » الآثار الضارة الناتجة عن العقاب البدني للطفل، وأيضاً الثواب المادي موضعاً للطريق الأمثل في عقاب الطفل وإثابته، فقد وصف « جون لوك » العقاب البدني بأنه أسوأ الأساليب للاستخدام في التربية، وحثه في ذلك أن العقاب البدني يعالج الأعراض دون الأسباب الكامنة وراء السلوك السيئ، كما أنه قد يؤدي إلى تعود الطفل على التظاهر والغش، وأيضاً الكذب لتفادي العقاب،

هذا بالإضافة إلى أن تكرار العقاب قد يفقده ما نتوقع منه من نتائج، ويهذه الحجج وغيرها يبين « لوك » مدى عدم استحسانه للعقاب البدنى، وأنه يلجأ إلى العقل كحل أخير فقط عندما تفشل كل السبل الكريمة فى تقديم السلوك السوى، أما بالنسبة للثواب فإن « جون لوك » يعارض الثواب المادى لأنه يؤدى إلى متعة مؤقتة دون أن يكون له آثار أخلاقية، وينبغى أن يكون الثواب من أجل السلوك الحسن بصفة عامة وليس من أجل أعمال معينة وأن يتكون من الحرية فى ممارسة الأعمال المرحية التى تبعث المتعة البريئة فى النفس، ويرى « لوك » أن المدح واللوم من أقوى الحوافز فى تدريب الصغار ويضيف إليها المنافسة والإحساس بالنجاح.

وانطلاقاً من ذلك فقد أوصى « لوك » الآباء بما يلى: على الآباء أن يمارسوا شخصياً سلحة واعية ومتشددة على أبنائهم منذ الصغر على أن تخفف هذه القسوة كلما كبروا فى السن بالخشية وفرض الاحترام، وينتقد « لوك » التساهل والمسايرة حبال صغار الأولاد، ولا يطبق أن يتوسلوا بالكاء سبيلاً إلى الوصول إلى غايتهم، كما يوصى الآباء بإعطاء القدوة ويحذر من تدخل الخدم الذين من خلال تملقهم يهدمون أثر وقوة تأنيبات الأهل ويضعفون سلطتهم.

أما « مونتيني » فقد احتقر العقوبات الجسدية والنظام القاسى الذى يتبع فى المدارس، لهذا يرى إننا بدلاً من أن نحجب الأدب للأطفال لا نزودهم فى الواقع إلا بالذعر والضرب والقسوة، فانزعوا القسوة والقوة، إذ لاشئ فى نظره أقتل للطفل وأخطر على طبيعته السليمة منها.

